بسم الله الرحمن الرحيم

الاعتراف بالنعمة

إن ثلاثة في بنى إسرائيل أبرص وأقرع (١) وأعمى ، فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص فقال : أى شىء أحب إليك قال لون حسن وجلد حسن ويذهب عنى الذى قد قذرنى الناس ، قال فمسحه فذهب عنه قذره وأعطى لونا حسنا وجلداً حسناً ، قال فأى المال أحب إليك قال الابل أوقال البقر شك إسحق ، إلا أن الأبرص والأقرع قال أحدهما الابل وقال الآخر البقر ، قال فأعطى ناقة عشراء (٢) فقال بارك الله لك فيها ، قال فأتى الأقرع فقال أى شئ أحب إليك فقال شعر حسن ويذهب عنى هذا الذى قد قذرنى الناس ، قال فمسحه فذهب عنه ، قال وأعطى شعرا حسنا ، قال فأى المال أحب إليك قال البقر فأعطى بقرة حاملا ، قال بارك الله تعالى فيها ، قال فأتى الأعمى فقال أى شئ أحب إليك قال أن يرد الله إلى بصرى فأبصر به الناس قال فمسحه فرد الله إليه بصره ، قال فأى المال أحب إليك قال الغنم فأعطى شاة والداً ، فأنتج هذان وولد هذا ، فكان لهذا واد من الابل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم ، قال ثم إنه أتى الأبرص فى صورته وهيئته فقال رجل مسكين قد انقطعت بى الحبال فى سفرى فلا

---

(١) أقرع . الذى ذهب شعر رأسه

(٢) العشراء من النوق التى مضى لحملها عشرة أو ثمانية اشهر

بلاغ لى اليوم إلا بالله ، ثم بك أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا أبلغ عليه فى سفرى ، فقال الحقوق كثيرة فقال له كأنى أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرا فأعطاك الله فقال إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر ، فقال إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت ، قال وأتى الأقرع فى صورته فقال له مثل ما قال لهذا ورد عليه مثل مارد على هذا ، فقال إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت ، قال وأتى الأعمى فى صورته وهيئته فقال رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذى رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها فى سفرى فقال قد كنت أعمى فرد الله إلى بصرى فخذ ماشئت ودع ماشئت فوالله لا أجهدك اليوم شيئا أخذته لله ، فقال أمسك مالك فانما ابتليتم فقد رضى عنك وسخط على صاحبيك . (مسلم ج ٢)

فى سبيل الدين

عن عبد الله بن عباس قال حدثنى سلمان الفارسى قال كنت رجلا فارسيا من أهل اصبهان من أهل قرية منها يقال لها جى ، وكان أبى دهقان (١) قريته وكنت أحب خلق الله إليه ، فلم يزل به حبه إياى حتى حبسنى فى بيته كما تحبس الجارية ، واجتهدت فى المجوسية حتى كنت قطن (٢) النار الذى يوقدها لا يتركها تخبو ساعة . قال وكانت لأبى

(١) دهقان ، الفلاح عند الفرس
(٢) قطن النار ، القيم عليها

ضيعة (١) عظيمة قال فشغل فى بنيان له يوما قال لى يابنى إنى قد شغلت فى هذا اليوم عن ضيعتى فاذهب فاطلعها وأمرنى فيها ببعض ما يريد فخرجت أريد ضيعته فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون ، وكنت لا أدرى ما أمر الناس لحبس أبى إياى فى بيته فلما مررت بهم وسمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون ، قال فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم ورغبت فى أمرهم وقلت هذا والله خير من الذى نحن عليه ، فوالله ما تركتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبى لم آتها فقلت لهم أين أصل هذا الدين ؟ قالوا بالشام ! قال ثم رجعت إلى أبى وقد بعث فى طلبى وشغلته عن عمله كله ، فلما جئته قال أى بنى أين كنت ألم أكن عهدت إليك ما عهدت ، قال قلت يا أبت مررت بناس يصلون فى كنيسة لهم فأعجبنى ما رأيت من دينهم فوالله مازلت عندهم حتى غربت الشمس ، قال أى بنى ليس فى ذلك الدين خير ، دينك ودين آبائك خير منه ، قلت كلا والله إنه لخير من من ديننا ، قال فخافنى فجعل فى رجلى قيدا ثم حبسنى فى بيته ، قال وبعثت إلى النصارى فقلت لهم إذا قدم عليكم ركب من الشام تجارا من النصارى فأخبرونى ، فأخبرونى بقدوم تجار فقلت لهم إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فأذنونى ، قال فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم ألقيت الحديد من رجلى ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام ، فلما قدمتها قلت من أفضل أهل هذا الدين ؟ قالوا الأسقف فى الكنيسة قال فجئته فقلت إنى قد رغبت فى هذا الدين وأحببت أن أكون معك

---

(١) الضيعة القرية المملوكة (عقار)

أخدمك فى كنيستك وأتعلم منك وأصلى معك ، قال فادخل فدخلت معه قال فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فاذا جمعوا إليه منها شيئا اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال (١) من ذهب ، قال وأبغضته بغضا شديدا لما رأيته يصنع ، قال ثم مات فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه فقلت لهم إن هذا كان رجلا يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فاذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئاً ، قالوا وما علمك بذلك قلت أنا أدلكم على كنزه قالوا فدلنا عليه قال فأريتهم(٢) موضعه . قال فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهبا وورقا ، فلما رأوها قالوا والله لاندفنه أبدا ، قال فصلبوه ثم رموه بالحجارة ، ثم جاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه فما رأيت رجلا يصلى الخمس أرى انه أفضل منه أزهد فى الدنيا ولا أرغب فى الآخرة ولا ادأب ليلا ونهارا منه ، فأحببته حبالم أحبه من قبله فأقمت معه زمانا ثم حضرته الوفاة قلت له يافلان إنى كنت معك فأحببت حبا لم أحبه من قبلك وقد حضرتك الوفاة فالى من توصى بى وماتأمرنى قال أى بنى والله ما أعلم أحدا اليوم على ما كنت عليه ، لقد هلك الناس وبدلوا وتركو أكثر ما كانوا عليه إلا رجلا بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت فالحق به ، قال فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل فقلت له يا فلان إن فلانا أوصانى عند موته أن ألحق بك وأخبرنى أنك على أمره ، قال فقال لى أقم عندى قال فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه ، فلم يلبث أن

---

(١) قلال . جمع قلة الجرة العظيمة (٢) ورق . الفضة

مات فلما ، حضرته الوفاة قلت له يافلان إن فلانا أوصى بى إليك
وأمرنى باللحوق بك وقد حضرك من أمرالله ماترى فالى من توصى
بى وما تأمرنى ؟ قال أى بنى والله ما أعلم رجلا على مثل ماكنا عليه
إلا رجلا بنصيبين وهو فلان فالحق به ، قال فلما مات وغيب لحقت
بصاحب نصيبين (١) فجئت فأخبرته بما جرى وما أمرنى به صاحبى قال
فأقم عندى فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه فأقمت مع خير
رجل ، فوالله مالبث أن نزل به الموت ، فلما حضر قلت له يا فلان
إن فلاناً كان أوصى بى إلى فلان ثم أوصى بى فلان اليك فالى
من توصى بى وما تأمرنى ؟ قال أى بنى والله ماأعلم أحداً بقى على أمرنا
آمرك ان تأتيه إلا رجلا بعمورية فانه على مثل ما نحن عليه فان
أحببت فأته فانه على مثل أمرنا ، قال فلما مات وغيب لحقت
بصاحب عموريه (٢) وأخبرته خبرى فقال أقم عندى فأقمت عند رجل
على هدى أصحابه وأمرهم ، قال وكنت أكتسب حتى كانت لى بقرات
وغنيمة ، قال ثم نزل به أمر الله عزوجل فلما حضر قلت له يافلان
إنى كنت مع فلان فأوصى بى إلى فلان ثم أوصى بى فلان إلى
فلان ثم أوصى بى فلان إلى فلان ———————— ثم أوصى
بى فلان إليك فالى من توصى بى وما تأمرنى قال أى بنى والله ما
أعلم أصبح على ماكنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه ولكنه
قد أظل زمان نبى مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب مهاجرا

(١) نصيبين . مدينة كانت فى شمالى العراق

(٢) عمورية . مدينة كانت فى العراق

إلى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لاتخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل ، قال ثم مات وغيب فمكثت بعمورية ماشاء الله ان أمكث ثم مر بى نفر من كلب تجارا فقلت لهم تحملونى إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتى هذه وغنيمتى هذه قالوا نعم ، فأعطيتهم إياها وحملونى حتى إذا قدموا بى وادى القرى (١) ظلمونى فباعونى من رجل من يهود فكنت عنده ورأيت النخل ورجوت أن يكون البلد الذى وصف لى صاحبى ولم يحق لى فى نفسى ، فبينما أنا عنده قدم عليه ابن عم له من المدينة من بنى قريظة فابتاعنى منه فاحتملنى إلى المدينة فوالله ما هو إلا رأيتها فعرفتها بصفة صاحبى فأقمت بها وبعث الله رسوله ﷺ فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق ، ثم هاجر إلى المدينة فوالله إنى لفى رأس عذق لسيدى أعمل فيه بعض العمل وسيدى جالس إذ أقبل ابن عم له إذ وقف عليه فقال يافلان قاتل الله بنى قيلة والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم زعم أنه نبى ، قال فلما سمعتها أخذتنى العرواء (٢) حتى ظننت أنى ساقط على سيدى ، قال ونزلت على العجلة فجعلت أقول لابن عمه ماذا تقول قال فغضب سيدى فلكمنى لكمة شديدة وقال مالك ولهذا أقبل على عملك ، قال قلت لا شئ إنما أردت أن أستثبته عما قال وقد كان شئ عندى قد جمعته ، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء فدخلت عليه فقلت له

---

(١) مدينة كانت فى شمالى الحجاز (٢) العرواء مس الحمى (الرعدة)

إنه قد بلغنى أنك رجل صالح معك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شئ كان عندى للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم قال فقربته إليه فقال رسول الله ﷺ لأصحابه كلوا وأمسك يده هو فلم يأكل، قال فقلت فى نفسى هذه واحدة، ثم انصرفت عنه فجمعت شيئا وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة ثم جئته به فقلت إنى رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها فأكل رسول الله ﷺ منها، وأمر أصحابه فأكلوا معه، قال فقلت فى نفسى هاتان اثنتان قال ثم جئت رسول الله ﷺ وهو يبقيع الغرقد قد تبع جنازة من أصحابه عليه شملتان وهو جالس فى أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذى وصف لى صاحبى، فلما رآنى رسول الله ﷺ استدبرته عرف أنى أستثبت فى شئ وصف لى قال فألقى رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته فانكببت عليه أقبله وأبكى، فقال رسول الله ﷺ تحول فتحولت، فقصصت عليه حديثى كما حدثتك يا ابن عباس -

﴿ البخارى ﴾

﴿ وسيرة ابن هشام ﴾



جراءة الغفارى

لما بلغ أباذر مبعث النبى ﷺ بمكة قال لأخيه اركب إلى هذا الوادى فاعلم لى علم هذا الرجل الذى يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء فاسمع من قوله ثم ائتنى، فانطلق الآخر حتى قدم مكة وسمع من قوله ثم رجع إلى أبى ذر فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وكلا ما ما هو بالشعر فقال ما شفيتنى فيما أردت فتزود وحمل شنة (١) له فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد فالتمس النبى ﷺ ولا يعرفه وكره أن يسأل عنه حتى أدركه (يعنى) الليل فاضطجع فرآه على فعرف أنه غريب، فلما رآه تبعه فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شئ حتى أصبح ثم احتمل قريبته وزاده إلى المسجد فظل ذلك اليوم ولا يرى النبى ﷺ حتى أمسى فعاد إلى مضجعه فمر به على فقال ما آن للرجل أن يعلم منزله فأقامه فذهب به معه ولا يسأل واحد منهما صاحبه عن شئ، حتى إذا كان يوم الثالثة فعل مثل ذلك فأقامه على معه، ثم قال له ألا تحدثنى ماالذى أقدمك هذا البلد؟ قال إن أعطيتنى عهدا وميثاقا لترشدنى فعلت ففعل فأخبره. فقال فانه حق وهو رسول الله ﷺ فاذا أصبحت فاتبعنى فانى إن رأيت شيئا أخاف عليك قمت كأنى أريق الماء (٢) فان مضيت فاتبعنى حتى تدخل مدخلى ففعل فانطلق يقفوه حتى دخل على النبى ﷺ ودخل معه فسمع من قوله وأسلم مكانه. فقال له النبى ﷺ إرجع إلى قومك فأخبرهم

(١) القربة الصغيرة البالية (٢) كناية عن الاستجاء

حتى يأتيك أمرى ، فقال والذى نفسى بيده لأصرخن بها بين ظهرا نيهم ، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وثار القوم فضربوه حتى أضجعوه وأتى العباس فأكب عليه ، فقال ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار (١) وأن طريق تجاركم إلى الشام عليهم ، فأنقذه منهم ثم عاد من الغد لمثلها وثاروا إليه فضربوه فأكب عليه العباس فأنقذه .

(مسلم ج ٢)

بينى وبين بنى ابى

يعاتبنى فى الدين قومى وإنما ... ديونى فى أشياء تكسبهم حمدا
أسد به ماقد أخلوا وضيعوا ... ثغور حقوق ماأطاقوا لها سدا
وفى جفنة مايغلق الباب دونها ... مكللة لحما مدفقة ثردا
وفى فرس نهد عتيق جعلته ... حجابا لبيتى ثم أخدمته عبدا
وإن الذى بينى وبين بنى أبى ... وبين بنى عمى لمختلف جدا
فان أكلوا لحمى وفرت لحومهم ... وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجدا
وإن ضيعوا غيبى حفظت غيوبهم ... وإن هم هووا غيى هويت لهم رشدا
وإن زجروا طيرا بنحس تمربى ... زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا

(١) غفار ، قبيلة كانت تسكن شمالى الحجاز .

ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
لهم جل مالى إن تتابع لى غنى وإن قل مالى لم أكلفهم رفدا
وإنى لعبد الضيف مادام نازلا
وما شيمة لى غيرها تشبه العبدا
(ديوان الحماسه لأبى تمام باب الأدب)

عمر فى الحكم

لما ثقل أبوبكر رضى الله تعالى عنه وأراد الناس منه أن يستخلف فاستخلف عمر رضى الله عنه ، فقال الناس له : استخلفت علينا فظا غليظا فماذا تقول لربك ؟ فقال : أقول استخلفت على خلقك خير خلقك (١)

وها به الناس هيبة عظيمة حتى تركوا الجلوس بالأفنية فلما بلغه رضى الله عنه هيبة الناس له جمعهم ثم قام على المنبر حيث كان أبوبكر رضى الله عنه يضع قدميه ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على النبى ﷺ ثم قال : بلغنى أن الناس قدهابوا شدتى وخافوا غلظتى وقالوا قد كان عمر يشتد علينا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا ثم اشتد علينا وأبوبكر رضى الله تعالى عنه والينا دونه فكيف الآن وقد صارت الأمور إليه ، ولعمرى من قال ذلك فقد صدق ،

(١) احياء العلوم ج ٤

كنت مع رسول الله ﷺ فكنت عبده وخادمه حتى قبضه الله عزوجل وهو عنى راض والحمدلله وأنا أسعد الناس بذلك ثم ولى أمر الناس أبوبكر رضى الله عنه فكنت خادمه وعونه أخلط شدتى بلينه فأكون سيفا مسلولا حتى يغمدنى أويدعنى فما زلت معه كذلك حتى قبضه الله تعالى وهو عنى راض، والحمد لله وأنا أسعد الناس بذلك، ثم انى وليت أموركم، اعلموا أن تلك الشدة قد تضاعفت ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدى على المسلمين، وأما أهل السلامة والدين والقصد فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض، ولست أدع أحداً يظلم أحدا ويتعدى عليه حتى أضع خده على الأرض وأضع قدمى على الخد الآخر حتى يذعن للحق، ولكم على أيها الناس أن لاأخبأ عنكم شيئا من خراجكم وإذا وقع عندى أن لايخرج إلا بحقه ولكم على أن لاألقيكم فى المهالك وإذا غبتم فى البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا، أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم، قال: سعيد بن المسيب وفى والله عمروزاد فى الشدة فى مواضعها واللين فى مواضعه وكان رضى الله عنه أباالعيال حتى كان يمشى إلى المغيبات، اى التى غابت عنهن أزواجهن، ويقول ألكن حاجة حتى أشترى لكن فانى أكره أن تخدعن فى البيع والشراء فيرسلن بجواريهن معه فيدخل فى السوق ووراءه من جوارى النساء وغلمانهن مالايحصى فيشترى لهن حوائجهن، ومن كان ليس عندها شئ اشترى لها من عنده، رضى الله عنه،

(حياة الحيوان للدميرى، ج ١)

أصحاب الفيل

فلما نزل أبرهة (١) بالمغمس (٢) بعث رجلا من الحبشة يقال له الأسود بن مقصود على خيل له حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال تهامة (٣) من قريش وغيرهم، وأصاب فيها مأتى بعير لعبد المطلب ابن هاشم — وهو يومئذ كبير قريش وسيدها — فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله، ثم عرفوا أنه لا طاقة لهم به فتركوا ذلك، وبعث أبرهة حناطة الحميرى إلى مكة وقال له سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفهم، ثم قل له إن الملك يقول إنى لم آت لحرب فلا حاجة لى بدمائكم، فان هو لم يرد حربى فأتني به، فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها فقيل له عبد المطلب بن هاشم، فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة، فقال له عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم عليه السلام — أو كما قال — فان يمنعه منه فهو حرمه وبيته وإن يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه، فقال له حناطة فانطلق معى إليه فانه قد أمرنى أن آتيه بك فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى العسكر فسأل عن ذى نفر وكان له صديقا — حتى دخل عليه وهو فى محبسه، فقال له يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما

---

(١) ابرهة، امير حبشى استقل بولاية اليمن

(٢) المغمس، موضع بطريق الطائف

(٣) تهامة، الارض الساحلية من الحجاز.

نزل بنا فقال له ذو نفر و ما غناء رجل اسير بيدى ملك ينتظر أن يقتله غدواً أو عشياً ؟ ما عندى غناء فى شئ مما نزل بك إلا أن أنيسا سائس الفيل صديق لى فأرسل إليه و أوصيه بك واعظم عليه حقك و أسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بذالك ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك ، فقال حسبى ، فبعث ذو نفر إلى أنيس فقال له إن عبد المطلب سيد قريش عين مكة (١) يطعم الناس فى السهل (٢) والوحوش فى رؤس الجبال ، و قد أصاب له الملك مأيتى بعير فاستأذن له عليه وانفعه عنده بما استطعت ، قال أفعل ، فكلم أنيس أبرهة فقال له ايها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك و هو صاحب عين مكة وهو الذى يطعم الناس بالسهل والوحوش فى رؤس الجبال فأذن له عليك فليكلمك فى حاجته فأذن له أبرهة . قال وكان عبد المطلب أوسم الناس و أعظم و أجملهم ، فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه عن أن يجلسه تحته وكره أن تراه الحبشة بجلسه معه على سرير ملكه فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جانبه ، ثم قال لترجمانه قل له حاجتك ؟ فقال له ذلك الترجمان . فقال حاجتى أن يرد على الملك مأيتى بعير أصابها لى ؛ فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبتنى حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى ، أتكلمنى فى مأيتى بعير أصبتها لك وتترك بيتا وهو دينك و دين آبائك قد جئت لأهدمه لا تكلمنى فيه ؟ فقال له عبد المطلب

---

(١) يريد بها زمزم (٢) الأرض المنبسطة

إنى أنا رب الابل وإن للبيت ربا سيمنعه ، فقال ما كان يمتنع منى قال أنت و ذلك ، فرد على عبد المطلب إبله

فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر و أمرهم بالخروج من مكة و التحرز (١) فى رؤوس الجبال ، ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله و يستنصرونه على أبرهة و جنده

وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف (٢) الجبال يتحرزون فيها مما أبرهة فاعل ؛ فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة و هيأ فيله و عبى جيشه ، وكان اسم الفيل محموداً ؛ فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه فقال أبركْ محمود و ارجع راشداً من حيث أتيت فانك فى بلد الله الحرام و أرسل أذنه فبرك الفيل ،

و خرج نفيل بن حبيب يشتد (٣) حتى أصعد فى الجبل و ضربوا الفيل ليقوم فأبى فضربوا رأسه بالطبرزين (٤) ليقوم فأبى ؛ فأدخلوا محاجن (٥) لهم فى مراقه (٦) فبزغوه (٧) بها ليقوم فأبى ، فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول ، و وجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك و وجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك و وجهوه إلى مكة فبرك وأرسل الله عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف (٨) والبلسان (٩)

---

(١) الاحتماء و الاختفاء (٢) شعف جمع شعفة أعلى الجبل (٣) يعدو (٤) الفأس من السلاح ، (٥) العصا المنعطفة الرأس (٦) الجلد (٧) أسالوا دمه (٨) نوع من الطير (٩) حب يشبه العدس

مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها حجر فى منقاره و حجران فى رجليه أمثال الحمص و العدس ، لا تصيب منهم أحدا إلا هلك و ليس كلهم أصابت ، و خرجوا هاربين يبتدرون الطريق التى منها جاؤا و يسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن .

فخرجوا يتساقطون بكل طريق و يهلكون بكل مهلك على كل منهل ، و أصيب أبرهة فى جسده و خرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة ، كلما سقطت أنملة اتبعتها منه مدة (١) تمث (٢) قيحا و دماً حتى قدموا صنعاء و هو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون

فلما بعث الله محمدا ﷺ كان مما يعدد على قريش من نعمته و فضله بما رد عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم و مدتهم فقال تعالى : ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ؛ ألم يجعل كيدهم فى تضليل و أرسل عليهم طيراً أبابيل ؛ ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول .

(سيرة ابن هشام ج ١)

---

(١) القيح فى الجراح . (٢) ترشح و تسيل .

مؤامرة قريش

ولما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم عرفوا أنهم قد نزلوا دارا، وأصابوا منهم منعة: فحذروا خروج رسول الله ﷺ إليهم، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم فاجتمعوا له في دار الندوة (١) وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضى أمرا إلا فيها: يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ حين خافوه؛

لما أجمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله ﷺ غدوا في اليوم الذي اتعدوا له، وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة، فاعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل عليه بتلة (٢) فوقف على باب الدار فلما رأوه واقفا على بابها قالوا من الشيخ؟ قال شيخ من أهل نجد سمع بالذى اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون: وعسى أن لا يعدمكم منه رأيا ونصحا قالوا أجل، فادخل فدخل معهم وقد اجتمع فيها أشراف قريش

فقال بعضهم لبعض إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم فانا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأيا: قال فتشاوروا: ثم قال قائل منهم احبسوه

(١) دار لقريش كانت للشورى (٢) نوع من الـكساء

فى الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيرا والنابغة ، ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم ؛ فقال الشيخ النجدى لا و الله ما هذا لكم لكم برأى ، والله لئن جئتموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه ، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم ؛ فينزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هـذا لكم برأى ؛ فانظروا فى غيره فتشاوروا ثم قال قائل منهم ؛ نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فاذا أخرج عنا فوالله ما نبالى أين ذهب و حيث وقع ، إذا غاب عنا وفرغنا منه ، فأصلحنا أمرنا وأنفسنا كما كانت ، فقال الشيخ النجدى : لا والله ما هذا لكم برأى ، ألم تروا حسن حديثه ، و حلاوة منطقه ؛ و غلبته على قلوب الرجال بما يأتى به ؛ والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حى من العرب ، فيغلب عليهم بذلك من قوله و حديثه حتى يتابعوه عليه ؛ ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم فى بلادكم ، فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد ؛ دبروا فيه رأيا غير هذا قال : فقال أبو جهل بن هشام والله إن لى فيه لرأيا . ما أراكم وقعتم عليه بعد ، قالوا ، وما هو يا أبا الحكم ؟ قال أرى أن تأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا و سطا فينا ، ثم نعطى كل فتى منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا إليه ، فيضربوه بها ضربة رجل واحد ، فيقتلوه ، فنستريح منه ؛ فانهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعا ؛ فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ؛ فرضوا منا بالعقل فعلناه بهم قال فقال

الشيخ النجدى : القول ما قال الرجل ، هـذا الرأى الذى لا رأى غيره ، فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له ؛

فأتى جبرئيل عليه السلام رسول الله ﷺ فقال لاتبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه ؛ قال : فلما كانت عتمة من الليل . اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام ؛ فيثبون عليه ، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلى بن أبى طالب ، نم على فراشى وتسج (١) بردى هذا الحضرمى الأخضر ؛ فنم فيه ، فانه لن يخلص إليك شئ تكرهه منهم ؛ وكان رسول الله ﷺ ينام فى برده ذلك إذا نام .

قال لما اجتمعوا له ، و فيهم أبوجهل بن هشام: فقال وهم على بابه إن محمدا يزعم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب و العجم: ثم بعثتم من بعد موتكم ؛ ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها قال : وخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب فى يده ؛ ثم قال أنا أقول ذلك ؛ أنت أحدهم وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه ؛ فلا يرونه ؛ فجعل ينثر ذلك التراب على رؤسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من يس « يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم » إلى قوله « فأغشيناهم فهم لا يبصرون » حتى فرغ رسول الله ﷺ من هولاء الآيات ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابا ، ثم لنصرف إلى حيث أراد أن يذهب فأتاهم آت ممن لم يكن معهم ، فقال : ما تنتظرون ههنا ؟ قالوا

---

(١) تسجى بعض النسخ ،

محمدا ؛ قال خيبكم الله ! قد والله خرج عليكم محمد ؛ ثم ما ترك منكم رجلا إلا قد وضع على رأسه ترابا ؛ وانطلق لحاجته أفما ترون ما لكم ؟ قال فوضع كل رجل منهم يده على رأسه ؛ فاذا عليه تراب ؛ ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليا على الفراش متشحيا ببرد رسول الله ﷺ فيقولون والله إن هذ المحمد نائما عليه برده ؛ فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام على رضى الله عنه عن الفراش فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذى حدثنا

(سيرة ابن هشام ج ٢)

شهادة من عدو

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه أخبره أن رسول الله ﷺ كتب إلى قيصر (١) يدعوه إلى الاسلام وبعث بكتابه إليه مع دحية الكلبي وأمره رسول الله ﷺ أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر وكان قيصر لما كشف الله عنه جنود فارس مشى من حمص إلى ايلياء (٢) شكرا لما أبلاه الله ، فلما جاء قيصر كتاب رسول الله ﷺ قال حين قرأه التمسوا لى إلى ههنا أحدا من قومه لأسألهم عن رسول الله ﷺ : قال ابن عباس

(١) ملك الروم (٢) مدينة بيت المقدس

فأخبرنى أبو سفيان بن حرب أنه كان بالشام فى رجال من قريش قدموا تجارا فى المـــدة التى كانت بين رسول الله ﷺ و بين قريش ؛ قال أبوسفيان فوجدنا رسول قيصر ببعض الشام فانطلق بى و بأصحابى حتى قدمنا إيلياء ؛ فأدخلنا عليه ؛ فاذا هـو جالس فى مجلس ملكه و عليه التاج وإذا حوله عظماء الروم ؛ فقال لترجمانه سلهم أيهم أقرب نسبا إلى هذا الرجل الذى يزعم أنه نبي قال أبوسفيان فقلت أنا أقربهم إليه نسباً ؛ قال ما قرابة ما بينك و بينه ؛ فقلت هـــو ابن عمى و ليس فى الركب يو مئذ أحد من بنى عبد مناف غيرى فقال قيصر أدنوه ؛ و أمر بأصحابى فجعلوا خلف ظهرى عند كتفى ثم قال لترجمانه قل لأصحابه إنى سائل هذا الرجل عن الذى يزعم أنه نبى فان كذب فكذبوه قال أبو سفيان و الله لولا الحياء يومئذ من أن يأثر أصحابى عنى الكذب لكذبته حين سألنى عنه ، و لكنى استحييت أن يأ ثروا الكذب عنى فصدقته ، ثم قال لترجمانه قل له كيف نسب هذا الرجل فيكم قلت هو فينا ذو نسب ، قال منهل قال هذا القول أحد منكم قبله ؟ قلت لا فقال كنتم تتهمونه على الكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت لا قال فهل كان من آبائه من ملك ، قلت لا ، قال فأشراف النـاس يتبعونه ، أم ضعفاؤهم ؟ قلت بل ضعفاؤهم ، قال فيزيدون أو ينقصون ؟ قلت بل يزيدون ، قال فهل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت لا ، قال فهل يغدر قلت لا ، و نحن الآن منه فى مدة نحن نخاف أن يغدر ، قال أبو سفيان و لم تمكننى كلمة أدخل فيها شيئا أنتقصه به إلا أخاف أن تؤثر عنى غيرها ، قال فهل قاتلتموه و قاتلكم قلت نعم ، قال فكيف

كانت حربه وحربكم قلت كانت دولا و سجالا يدال علينا المرة و ندال
عليه الأخرى ، قال فماذا يأمركم قال يأمرنا أن نعبد الله وحده لا
نشرك به شيئا وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ويأمرنا بالصلاة و الصدقة
و العفاف و الوفاء بالعهد وأداء الأمانة ، فقال لترجمانه حين قلت ذلك
له قل له إنى سألتك عن نسبه فيكم فزعمت أنه ذو نسب ، وكذلك
الرسل تبعث فى نسب قومها ؛ و سألتك هل قال أحد منكم هذا القول
قبله فزعمت أن لا ؛ فقلت لو كان أحد منكم قال هذا القول قبله قلت
رجل يأتم بقول قد قيل قبله ، و سألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب
قبل أن يقول ما قال فزعمت أن لا ، فقلت لو كان من آبائه ملك
قلت يطلب ملك آبائه ، و سألتك أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ،
فزعمت أن ضعفاءهم اتبعوه ، و هم أتباع الرسل ، و سألتك هل يزيدون
أو ينقصون فزعمت أنهم يزيدون ، وكذلك الايمان حتى يتم ; وسألتك
هل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فزعمت أن لا ، فكذلك
الايمان حتى تخلط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد ؛ و سألتك هل
يغدر فزعمت أن لا وكذلك الرسل لا يغدرون وسألتك هل
قاتلتموه و قاتلكم فزعمت أن قد فعل ؛ و أن حربكم وحربه يكون دولا
يدال عليكم المرة وتدالون عليه الأخرى ، و كذلك الرسل تبتلى وتكون
لها العاقبة ، و سألتك بماذا يأمركم فزعمت أنه يأمركم أن تعبدوا الله
و لا تشركوا به شيئا و ينهاكم عما كان يعبد آباؤكم و يأمركم بالصلاة
والصدقة والعفاف والوفاء بالعهد و أداء الأمانة . قال و هذه صفة النبي :
و قد كنت أعلم أنه خارج و لكن لم أظن أنه منكم ؛ وإن يك ما قلت

حقا فيوشك أن يملك موضع قدمى هاتين و لو أرجو أن أخلص إليه لتجشمت للقائه و لو كنت عنده لغسلت قدميه . قال أبوسفيان ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرئ فاذا فيه بسم الله الرحمان الرحيم من محمد عبد الله و رسوله إلى هـــرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهـــدى أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم و أسلم يؤتك الله أجــرك مرتين فان توليت فعليك إثم الأريسيين (١) و يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم أن لا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون قال أبو سفيان فلما أن قضى مقالته علت أصوات الذين حوله من عظماء الروم و كثر لغطهم . فلا أدرى ماذا قالوا وأمر بنا فأخرجنا فلما أن خرجت مع أصحابى و خلوت بهم قلت لهم لقد أمر (٢) أمر ابن أبى كبشة (٣) هذا ملك بنى الأصفر يخافه قال أبو سفيان ما زلت ذليلا مستيقنــا بأن أمره سيظهر حتى أدخل الله قلبى الاسلام وأنا كاره

و فى رواية اخرى قال الزهرى فدعا هرقل عظمـاء الروم فجمعهم فى دار له فقال يا معشر الروم هل لكم فى الفلاح و الرشد آخر الأبد ، و أن يثبت لكم ملككم ؟ قال فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها غلقت فقال علىّ بهم فقال إنى إنما اختبرت شدتكم على دينكم فقد رأيت منكم الذى أحببت فسجدوا له أورضوا عنه .

(صحيح البخارى المجلد الثانى)

---

(١) الاريسيين الفلاحين (٢) غلب (٣) كان رجلا خالف قريشا فى عبادة الاصنام فشبهوا النبى ﷺ به

ألم تعلمى يا عمرك (١) الله أننى
كريم على حين الكرام قليل

و إنى لا اخزى إذا قيل مملق
سخى و أخزى أن يقال بخيل

إذا كنت فى القوم الطوال فضلتهم
بعارفة حتى يقال طويل

ولاخيرفى حسن الجسوم وطولها
إذا لم يزن حسن الجسوم عقول

وكأين رأينا من فروع طويلة
تموت إذا لم يحيهن أصول

فان لم يكن جسمى طويلا فانني
له بالفعال الصالحات وصول

ولم أر كالمعروف أما مذاقه
فحلو وأما وجهه فجميل

(أما لى أبى على القالى)

ابن طاؤس و المنصور

عن ما لك بن أنس قال أرسل أبو جعفر المنصور إلى و إلى بن طاؤس فأتيناه فدخلنا عليه فاذا هو جالس على فرش قد نضدت و بين يديه أنطاع قد بسطت ، وجلاوزة (٢) بأيديهم السيوف يضربون

(١) أطال الله عمرك
(٢) الجلواز . الشرطى المخصص للملك

الأعناق فأومأ إلينا أن اجلسا فجلسنا فأطرق عنا طويلا ثم رفع رأسه و التفت إلى ابن طاؤس فقال له حدثني عن أبيك قال نعم سمعت أبي يقول قال رسول الله ﷺ إن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله في حكمه فأدخل عليه الجور في عدله ؛ فأمسك ساعة ، قال مالك فضممت ثيابي مخافة أن يملأني من دمه ثم التفت إليه أبو جعفر فقال عظني يا ابن طاؤس قال نعم يا أمير المؤمنين ، إن الله تعالى يقول (ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد و ثمود الذين جابوا الصخر بالواد و فرعون ذي الأوتاد ، الذين طغوا في البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ، فصب عليهم ربك سوط عذاب ، إن ربك لبالمرصاد) قال مالك فضممت ثيابي من ثيابه مخافة أن يملأ ثيابي من دمه ؛ فأمسك ساعة حتى اسود ما بيننا وبينه ، ثم قال : يا ابن طاؤس ناولني هذه الدواة فأمسك عنه (ثم قال ناولني هذه الدواة فأمسك عنه) فقال ما يمنعك أن تناولنيها ؟ قال أخشى أن تكتب بها معصية لله فأكون شريكك فيها ، فلما سمع ذلك قال قوما عني ، قال ابن طاؤس ذلك ما كنا نبغي (منذ اليوم)

قال مالك فما زلت أعرف لا بن طاؤس فضله

(الجزء الأول من العقد الفريد)

النجاشى الكريم

عن أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة زوج النبى ﷺ قالت لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشى (١) أمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى ، لانوذى و لا نسمع شيئا نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشى فينا رجلين منهم جليدين ؛ و أن يهدوا للنجاشى هدايا مما يستطرف من متاع مكة ، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم (٢) فجمعوا له أدما كثيرا ، و لم يتركوا من بطارقته بطريقا ، إلا أهدوا له هدية ، ثم بعثوا بذلك عبدالله بن أبى ربيعة و عمرو بن العاص فأمروهما بأمرهم ، و قالوا لهما ادفعا إلى كل بطريق (٣) هديته قبل أن تكلما النجاشى فيهم ، ثم قدما إلى النجاشى هداياه ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم ، قالت فخرجا حتى قدما على النجاشى و نحن عنده بخير دار عند خير جار فلم يبق من بطارقته بطريق الادفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشى وقالا لكل بطريق منهم : إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينكم ، وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم

---

(١) لقب ملك الحبشة (٢) الجلد (٣) قائد الروم

؛ فاذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم فان قومهم أعلى بهم عينا و أعلم بما عابوا عليهم ، فقالوا لهما نعم ؛ ثم إنهما قد ما هداياهما إلى النجاشى فقبلها منهما ثم كلماه فقالا له ؛ أيها الملك إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم و لم يدخلوا فى دينك ؛ و جاؤا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن و لا أنت و قد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم و أعمامهم وعشائرهم لتردهم عليهم ، فهم أعلي بهم عينا ، و أعلم بما عابوا عليهم و عاتبوهم فيه ، قالت ولم يكن شئ أبغض إلى عبد الله بن أبى ربيعة و عمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشى قالت فقالت بطارقته حوله ؛ صدقا أيها الملك : قومهم أعلى بهم عينا و أعلم بما عابوا عليهم ؛ فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم و قومهم قالت فغضب النجاشى ثم قال لا ها الله إذاً لا أسلمهم إليهما ولا يكاد قوم جاورونى ونزلوا بلادى واختارونى على من سواى حتى أدعوهم فاسألهم عما يقول هذان فى أمرهم ، فان كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم . وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ماجاورونى قالت ، ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ، ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا كائنا فى ذلك ما هو كائن . فلما جاؤا — و قد دعا النجاشى أساقفته (١) فنشروا مصاحفهم حوله — سألهم فقال لهم : ما

(١) الأسقف عالم النصارى

هذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم و لم تدخلوا ديى و لا فى دين أحد من هذه الملل قالت فكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب فقال له أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام و نأكل الميتة ، و نأتى الفواحش و نقطع الأرحام و نسيئ الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه و صدقه و أمانته و عفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده و نعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن و آباءنا من دونه من الحجارة و الأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث و أداء الأمانة ، و صلة الرحم و حسن الجوار و الكف عن المحارم والدماء . و نهانا عن الفواحش و قول الزور و أكل مال اليتيم و قذف المحصنة ، و أمرنا أن نعبد الله و حده لا نشرك به شيئا ، و أمرنا با لصلاة و الزكاة و الصيام قالت فعدد عليه امور الاسلام ، فصدقناه و آمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله و حده فلم نشرك به شيئا ، و حرمنا ما حرم علينا و أحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا و فتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، و أن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا و ضيقوا علينا و حالوا بيننا و بين ديننا ، خرجنا إلى بلادك و أخترناك على من سواك ، و رغبنا فى جوارك . و زجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك . قالت : فقال له النجاشى هل معك مما جاء به عن الله ، من شئ ؟ قالت فقال له جعفر نعم فقال له النجاشى فاقرأه على ، قالت فقرأ عليه صدرا من (كهيعص) قالت : فبكى و الله النجاشى حتى

اخضلت (١) لحيته ، وبكت أساقفته ، حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ماتلا عليهم ، ثم قال النجاشى : إن هذا و الذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا فلا و الله لا أسلمهم إليكما و لا يكادون قالت : فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص ، و الله لآتينه غدا عنهم بما استأصل به خضراءهم — (٢) قالت : فقال له عبد الله بن أبى ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا لا تفعل فان لهم أرحاما و إن كانوا قد خالفونا ؛ قال و الله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد ؛ قالت ثم غدا عليه من الغد ؛ فقال أيها الملك إنهم يقولون فى عيسى بن مريم قولا عظيما ؛ فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه ، قالت ! فأرسل إليهم ليسألهم عنه ، قالت و لم ينزل بنا مثلها قط ، فاجتمع القوم ثم قال بعضهم لبعض ، ماذا تقولون فى عيسى بن مريم إذا سألكم عنه ؟ قالوا نقول و الله ما قال الله و ما جاءنا به نبينا كائنا فى ذلك ما هو كائن ؛ قالت فلما دخلوا عليه قال لهم ؛ ماذا تقولون فى عيسى ابن مريم ؟ قالت فقال جعفر بن أبى طالب نقول فيه الذى جاءنا به نبينا ﷺ هو عبد الله و رسوله ، و روحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول ، قالت فضرب النجاشى بيده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال ، و الله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود ، قالت فتناخرت (٣) بطارقته حوله حين قال ما قال ، فقال : و إن نخرتم و الله ، واذهبوا

---

(١) ندبت وابتلت (٢) كناية عن السلامة والخير (٣) اظهروا الألم و الاستكار

فأنتم شيوم بأرضى (و الشيوم ، الآمنون) من سبكم غرم ؛ ثم قال : من سبكم غرم ، ثم قال : من سبكم غرم ؛ ما أحب أن لى دبراً من ذهب ـــــــــــــــــ و أنى آذيت رجلا منكم ، (و الدبر بلسان الحبشة الجبل) ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى بها ، فوالله ما أخذ الله منى الرشوة ، حين رد على ملكى فآخذ الرشوة فيه ، و ما أطاع الناس فى فأطيعهم فيه ، قالت فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاؤا به ، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار .

(سيرة ابن هشام ج ١)

تجارة رابحة

بلغ النبى ﷺ وصاحبه أبوبكر قباء (١) ونزلا فيها بين جماعة المسلمين من المهاجرين و الأنصار ، و قد فرح النبى بهجرته إلى المدينة ، وفرحت المدينة بهجرته إليها ، فهى فى عيد متصل ، والأنصار يستبقون إلى بر النبى وأصحابه من المهاجرين ، يؤوونهم ، ويقومون بحاجاتهم ؛ ويطرفونهم بما يستطيعون أن يطرفوهم به من الطيبات ؛ و قد تقدم النهار و صليت الظهر ؛ و أقبل رجل من الأنصار فوضع بين يدى النبى رطبا ؛

(١) قرية عامرة قرب المدينة

و جعل النبي و صاحباه أبو بكر و عمر يصيبون من هذا الرطب و إنهم لفي ذلك فإذا شخص يرفع لهم ؛ ثم يدنو منهم ؛ ثم يسلم عليهم ؛ ثم يجلس إليهم ؛ وإذا هو صهيب ؛ سابق الروم إلى الاسلام كما قال فيه رسول الله ﷺ ،

و قد أقبل صهيب مجهودا مكدوداً قد بلغ منه الاعياء و كاد يأتى عليه الجوع ؛ و قد أصابه فى طريقه رمد (٢) فهو لا يكاد يرى إلا فى مشقة أي مشقة ، و قد ألقى تحية إلى أصحابه ، ثم ألقى نفسه على الأرض ، ثم نظر فرأى الرطب فانكب عليه و جعل يأكل منه أكلا غير رفيق يقول عمر بن الخطاب للنبي ﷺ : ألا ترى يا رسول الله إلى صهيب يأكل الرطب وهو رمد ؟ فيقول له النبي أتأكل الرطب و أنت رمد ؟ فيقول صهيب و هو يمعن فى الأكل : إنما آكله بشق عيني الذى لم يرمد ؛ فيتبسم رسول الله و يضحك القوم و يمضى صهيب فى أكل غير رفيق ؛ حتى إذا أرضى حاجته إلى الطعام جعل يعاتب أبابكر فيقول : وعدتنى الصحبة ثم تركتنى ؛ ثم يعاتب النبى فيقول و وعدتنى يا رسول الله الصحبة ثم تركتنى ، و الله ما خلصت إليك حتى اشتريت نفسى من قريش بمالى أجمع ؛ و ما تركت مكة إلا بمد من دقيق عجنته بالأبواء و عشت عليه حتى انتهيت إليك ، فيجيبه رسول الله : ربح البيع أبا يحيى ! ربح البيع ! و ينزل الله هذه الآية الكريمة « و من الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله ، و الله رؤف بالعباد » و قد أوجز صهيب قصة هذا البيع الرابح ؛

(٢) مرض العين و تألمها

وقد كان من أخلاق المسلمين الصادقين ألا يتكثروا ولا يمنوا باسلامهم ، وقد ثابت قريش بعض الشئ إلى نفسها بعد أن فاتها محمد و أبو بكر ، و جعلت تتتبع من لقى من أصحاب محمد ، تحبسهم عن الهجرة ، و تمسكهم فى العذاب ، و تفتنهم فى دينهم و تصدهم عن سبيل الله ، وكان صهيب من الذين حبستهم قريش ، يقول له أبو جهل وقد ورم أنفه و ذهب به الغيظ كل مذهب ؟ أتيتنا صعلوكا حقيرا لا تملك من الدنيا شيئا . فأثريت عندنا و أصبحت ذا مال ثم أنت تريد أن تفوتنا بمالك و نفسك إلى محمد و أصحابه ! قال صهيب فان خليت بينكم و بين مالى أتخلون بيى و بين ما أريد من الهجرة ؟ قال قوم نعم و قال أبو جهل هيهات ! إن حاجتنا إلى مالك ليست أقل من حاجتنا إلى نفسك ، فلنمسكنك فى العذاب حتى نأخذ مالك ثم نأتى على نفسك أو نعود من ديننا إلى ما كنت عليه ، قال صهيب و فى صوته حزن مر لوعاش عبد الله بن جدعان لما بلغت منى ما ترى ، قال أبو جهل سنلحقك بعبد الله بن جدعان فاشكنا إليه ، إن شئت ، ألستم تزعمون الناس يحيون حياة ثانية بعد حياتهم هذه الأولى ، فالق عبد الله بن جدعان هناك إن شئت فاشكنا إليه ، قال صهيب هيهات ! لن ألقاه قد وعدنى رسول الله الجنة و هو فى النار ، قال أبو جهل و قد أستاثر به الغيظ. فسطا على صهيب وضرب فى وجهه ضربا عنيفا ، ألا تسمعون يا معشرتيم إن سيدكم عبدالله بن جدعان فى النار ؛ و إن عبده هذا الروى سيصبر إلى الجنة ! ما رأيت كاليوم حمقا و لا خرقا ،

ولبث صهيب فى حبسه أياما لا يرزق من الطعام إلا ما يعصمه من الموت ، ولكن الاسلام كان فى ذلك الوقت قد فشا فى أحرار مكة ورقيقها ، فيحتال بعض أولئك وهؤلاء ، وإذا صهيب قد انسل من محبسه وركب راحلته وأخذ طريقه إلى المدينة

وعلمت قريش بأن صهيبا قد انسل من محبسه وبأنه يوشك أن يفوتها فترسل فى أثره الخيل ، ويدرك القوم صهيبا ولم يمض فى طريقه الا قليلا ، فلما رآهم قد أقبلوا ، وعلم أنهم يوشكون أن يأخذوه وأن يردوه إلى الفتنة والعذاب وقف لهم ؛ ونثر ما فى كنانته من السهام ؛ وقال لهم فى صوت الحازم المصمم : علمتم يا معشر قريش أنى من أرماكم رجلا ؛ وأنكم والله لاتصلون إلى حتى أرميكم بكل ما بين يدى من سهم ؛ ثم أضربكم بسيفى ما بقى منه شئ فى يدى ؛ فاختاروا بين الموت وبين مالى أدلكم عليه فتأخذونه وتخلون بينى وبين الطريق ؛ ولم يطل تفكير قريش ولا ائتمارها ؛ وانما آثروا العافية والسلامة والمال ؛ فقالوا قد رضينا فدلنا على مالك ؛ فأنبأهم بمكانه وانصرفوا عنه ؛ ومضى هو فى طريقه حتى بلغ رسول الله وقد أدركه من الجهد والكد ومن الظمأ والجوع ما كاد يأتى عليه .

(الوعد الحق) طه حسين

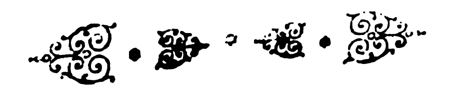
جود أعرابى

حــدثنى مروان بن أبى حفصة وكان لى صديقـا قال كان المنصور قــد طلب معن بن زائدة طلباً شديدا و جعل فيه مالا ، فحدثنى معن بن زائدة باليمن أنه اضطر لشدة الطلب إلى أن أقام فى الشمس حتى لوحت و جهه و خففت عارضيه و لحيته ؛ و لبس جبــة صوف غليظة : وركب جملا من الجمال النقالة ليمضى إلى البـادية فيقم بهـا ، وكان قـد أبلى فى حـرب يزيد بن عمر بن هبيره بلاء حسنـا غاظ المنصور (١) و جد فى طلبه : قال معن (٢) فلمـا خرجت من باب حرب تبعنى أسود متقلدا سيفا حتى إذا غبت عن الحرس قبض على خطام جملى فأناخــه ، و قبض على فقلت له مالك ، قال : أنت طلبة أمير المؤمنين قلت و من أنا حتى يطلبنى أمير المؤمنين قال معن بن زائده فقلت يا هـذا اتق الله و أين أنا من معن ، قال دع هذا عنك فأنا و الله أعرف به منك ، فقلت له فان كانت القصة كما تقول فهذا جوهر حملته معى يفى بأضعـاف ما بذله المنصور لمن جاء بى فخــذه و لا تسفك دمى قال هاته ، فأخرجته إليه فنظر إليه ساعة و قال صدقت فى قيمته و لست قابله حتى أسألك

(١) ثانى الخلفاء العباسيين (٢) معن بن زائدة ، أحد القواد و أجواد المسلمين ، وكان ممدوحا شهيراً لجوده .

عن شئ فان صدقتنى أطلقتك . فقلت قل قال إن النـاس قـد وصفوك بالجود . فأخبرنى هل وهبت قط مالك كله ، فقلت لا ، قال : فنصفـــه ، قلت لا ، قال فثلثه ، قلت لا ، حتى بلغ العشر ، فاستحييت فقلت أظن أنى قد فعلته يا هـذا ، فقـال ما أراك فعلته أنا و الله راجل و رزقى من أبى جعفر عشرون درهماً ؛ و هذا الجوهر قيمته آلاف دنانير ؛ وقد وهبته لك و وهبتك لنفسك ولجودك المأثور عنك بين النـاس و لتعلم أن فى الدنيا أجود منك ؛ فلا تعجبك نفسك و لتحقر بعد هذا كل شئ تفعله و لا تتوقف عن مكرمة ، ثم رمى بالعقد فى حجرى و خلى خطـام البعير وانصرف ، فقلت يا هذا قد و الله فضحتنى ؛ ولسفك دمى أهون على مما فعلت ؛ فخـــذ ما دفعته إليك فانى غنى عنه ؛ فضحك ثم قال : أردت أن تكذبنى فى مقالى هذا و الله لا آخـــذه ولا آخذ بمعروف ثمنـا أبدا و مضى ، فو الله لقد طلبته بعد أن أمنت وبذلت لمن جاءنى به ما شاء فما عرفت له خبراً ؛ وكأن الأرض ابتلعته

(رنات المثالث و المثانى ، الجزء الثالث)



مع اليتامى

لججنا و لجت هذه فى التغضب و لط الحجاب دوننا و التنقب

تلوم على مال شفانى مكانه إليك فلومى ما بدالك واغضبى

رأيت اليتامى لا تسد فقورهم هدايا لهم فى كل قعب مشعب

فقلت لعبدينا أريحا عليهم سأجعل بيتى مثل آخر معزب

بى أحق أن ينالوا سغابة وأن يشربوا رنقا لدى كل مشرب

ذكرت بهم عظام من لو أتيته حريا لآسانى لدى كل مركب

أخى والذى إن أدعه لملمة يجبنى وإن أغضب إلى السيف يغضب

فلا تحسبيى بلدما إن نكحته ولكنى حجية بن المضرب

رحمت بنى معدان إذساف مالهم وحق لهم منى ورب المحصب

فان تقعدى فأنت بعض عيالنا
وإن أنت لم ترضى بذلك فاذهبى

(حجية بن المضرب ، الحماسة)

البيت المكرم له أربعــة أركان ، وهـو قريب من التربيع ، وأخبرنى زعيم الشيبيين الذين إليهم سدانة البيت ، أن ارتفـاعه فى الهواء من الصفح (١) الذى يقابل باب الصفا — وهو من الحجر الأسود إلى الركن اليمانى — تسع وعشرون ذراعاً ؛ ومن سائر الجوانب ثمان وعشرون ؛ وأول أركانه الركن الذى فيه الحجر الأسود ومنه ابتداء الطواف ويتقهر (٢) الطـائف عنــه ليمس الحجر جميعه بيدنه ؛ والبيت المكرم عن يساره ؛ وأول ما يلقى بعـده الركن العراقى وهو ناظر إلى جهة الشمال ؛ ثم الركن الشـامى وهو ناظر إلى جهة الغرب ؛ ثم الركن اليمانى وهو ناظر إلى جهة الجنوب ؛ ثم يعود إلى الركن الأسود وهـو ناظر إلى جهة الشرق ؛ وعند ذلك يتم شوطاً واحداً وباب البيت الكريم فى الصفح الذى بين الركن العراقى وركن الحجر الأسود وهـو قريب من الحجر بعشرة أشبـار

وذلك الموضع الذى بينهما من صفح البيت — يسمى الملتزم وهو موضع استجابة الدعاء ؛ والباب الكريم مرتفع عن الأرض بأحد عشر شبرا ونصف شبر ، وهو فضة مذهبة ، بديع الصفة

---

(١) اى الجانب (٢) يرجع وراءه

رائق الصنعة يتوقف الابصار حسنا و خشوعاً للمهابة التى كساها الله بيته ، و للباب نقارتان (١) من الفضة كبيرتان ، يتعلق عليهما قفل الباب ، و هو ناظر للشرق ، وسعته ثمانية أشبار ، و طوله ثلاثة عشر شبراً و غلظ الحائط الذى ينطوى عليه الباب خمسة أشبار ،

و داخل البيت الكريم مفروش بالرخام المجزع (٢) و حيطانه كلها رخام مجزع قد قام على ثلاثة أعمدة من الساج مفرطة الطول و بين كل عمود و عمود أربع خطا ، و هو على طول البيت متوسطة فيه فأحد الأعمدة و هو أولها يقابل نصف الصفح الذى يحف به الركنان اليمانيان ، و بينه و بين الصفح مقدار ثلاث خطا ، و العمود الثالث — و هو آخرها — يقابل الصفح الذى يحف به الركنان العراقى و الشامى — و دائر البيت كله من نصفه الأعلى مطلى بالفضة المذهبة الثخينة يخيل للناظر إليها أنها صفيحة ذهب لغلظها ، وهى تحف بالجوانب الأربعة و تمسك نصف الجدار الأعلى و سقف البيت مجلل (٣) بكساء من الحرير الملون

و ظاهر الكعبة كلها من الأربعة الجوانب مكسو بثوب من الحرير الأخضر وسداها قطن و فى أعلاها رسم بالحرير الأحمر مكتوب فيه الآية الكريمة « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً و هدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم و من دخله كان آمنا و لله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا »

(١) حديدتان يطرق بهما الباب (٢) أى الملون . (٣) مجلل . مكسو

و قد كتب اسم الامام الناصر لدين الله (١) فى سعة مقـــدارهـا ثلاثة أذرع يطيف بهـا كلها قـد شكل فى هـذه الستور من الصنعة الغريبة التى ترى فيهـا أشكال محاريب رائعـــة ، و كتـابة مقروءة مرسومة بذكر الله تعالى و بالدعاء للناصر العباسى الآمر باقامتها و كل ذلك لا يخالف لونها .

و عدد السور من الجوانب الأربعـة أربعة و ثلاثون ستراً ؛ و فى الصفحين الكبيرين منها ثمـانية عشر ، و فى الصفحين الصغيرين ستة عشر . و له خمسة مضاو ليدخل منها الضوء و عليها زجاج عراقى بديع النقش أحدها فى وسط السقف ومع كل ركن مضوى (٢) وبين الأعمدة أقواس من الفضة عددها ثلاث عشرة واحدها من ذهب ،

وأول ما يلقى الداخل على الباب عن يساره الركن الذى خارجه الحجر الأسود و فيه صندوقان فيهمـا مصاحف و قـــد علاهما فى الركن بويبان من فضة كأنهما طاقان ملصقان بالركن ، وبينهما و بين الأرض أزيد من قامة و عن يمينه الركن المسمى بزاوية العراق و فيه باب يسمى بباب الرحمة يصعد منه إلى السطح المكرم

(رحلة ابن جبير)

---

(١) خليفة المسلمين فى عهد الكاتب (٢) مكان الضوء

ساعة مع الفضيل بن عياض

وعن الفضل بن الربيع قال حج أمير المؤمنين الرشيد فأتانى فخرجت مسرعا فقلت يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أتيتك فقال ويحك قد حك فى نفسى شئ فانظر لى رجلا أسأله

قلت ههنا الفضيل بن عياض قال إمض بنا إليه فأتيناه فاذا هو قائم يصلى يتلو آية من القرآن يرددها فقال اقرع الباب فقرعت الباب فقال من هــذا فقلت أجب أمير المؤمنين فقال مالى ولأمير المؤمنين : فقلت سبحان الله أما عليك طاعة ؟ أليس قد روى عن النبى ﷺ أنه قال ليس للمؤمنين أن يذل نفسه ؛ فنزل ففتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ المصباح ثم التجأ إلى زاوية من زاويا البيت فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كف هارون قبلى إليه فقال يالها من كف ما ألينها إن نجت غدا من عذاب الله عزوجل ؛ فقلت فى نفسى ليكلمنه الليلة بكلام نقى من قلب تقى : فقال له خذ لما جئناك له رحمك الله : فقال إن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبد الله و محمد بن كعب القرضى و رجاء بن حيوة فقال لهم إنى قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا على : فعد الخلافة بلاء وعددتها أنت و أصحابك نعمة . فقال له سالم بن عبد الله إن أردت النجاة غدا من عذاب الله (فصم الدنيا وليكن إفطارك من الموت) و قال له

محمد بن كعب القرظى إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أبا و أوسطهم عندك أخا و اصغرهم عندك ولدا ؛ فوقر أباك و أكرم أخاك و تحنن على ولدك ؛ وقال له رجاء بن حيوة إن أردت النجاة غدا من عذاب الله عزوجل فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ثم مت إذا شئت ؛ و إنى أقول لك إنى أخاف عليك أشد الخوف يوم تزل فيه الأقدام فهل معك رحمك الله من يشير عليك بمثل هذا ؟ فبكى هارون بكاءاً شديدا حتى غشى عليه ؛ فقلت له ؛ ارفق بأمير المؤمنين ، فقال يا ابن أم الربيع تقتله أنت وأصحابك و أرفق به أنا ثم أفاق ؛ فقال له زدنى رحمك الله : فقال يا أمير المؤمنين بلغنى أن عاملا لعمر بن عبد العزيز شكى إليه فكتب عمر يا أخى أذكرك طول سهر أهل النار فى النار مع خلود الأبد وإياك أن يتصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد و انقطاع الرجاء ؛ قال فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز ، فقال له ما أقدمك قال خلعت قلبى بكتابك لا أعود إلى ولاية أبداً حتى ألقى الله عز وجل ، قال فبكى هارون بكاءاً شديداً ثم قال له ، زدنى رحمك الله ، فقال يا أمير المؤمنين إن العباس عم المصطفى ﷺ جاء إلى النبى ﷺ فقال يا رسول الله أمرنى على إمارة فقال له النبى ﷺ إن الامارة حسرة وندامة يوم القيامة فان استطعت أن لا تكون أميراً فافعل ، فبكى هارون بكاءاً شديداً و قال له زدنى رحمك الله فقال يا حسن الوجه أنت الذى يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة ، فان استطعت أن تقى الوجه

من النار فافعل ، وإياك أن تصبح و تمسى و فى قلبك غش لأحد من رعيتك ، فان النبي ﷺ قال من أصبح لهم غاشا لم يرح رائحة الجنة ؛ فبكى هارون و قال له عليك دين قال نعم دين ربى يحاسبنى عليه فالويل لى إن سألنى والويل لى إن ناقشنى و الويل لى إن لم ألهم حجتى ، قال إنما أعنى دين العباد قال إن ربى لم يأمرنى بهذا ، أمر ربى أن أوحده و أطيع أمره فقال عز وجل (و ما خلقت الجن و الانس إلا ليعبدون ؛ ما أريد منهم من رزق و ما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) فقال له هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك و تقوبها على عبادتك ؛ فقال سبحان الله أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئنى بمثل هذا ؟ سلمك الله و وفقك ، ثم صمت فلم يكلمنا ، فخرجنا من عنده فلما صرنا على الباب قال هارون أبا عباس إذا دللتنى على رجل فدلنى على مثل هذا هذا سيد المسلمين ، فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت يا هذا قد ترى ما نحن به من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال فتفرجنا به ، فقال لها مثلى و مثلكم كمثل قوم لهم بعير يأكلون من كسبه فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه . فلما سمع هارون هذا الكلام قال ندخل فعسى أن يقبل المال ؛ فلما علم الفضيل خرج فجلس فى السطح على باب الغرفة فجاء هارون فجلس إلى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه ، فبينا نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت يا هذا قد آذيت الشيخ منذ الليلة فانصرف رحمك الله ، فانصرفنا

(صفوة الصفوة جزء ٢)

آخر مقتول للحجاج

وكان سعيد بن جبير مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس لما خرج على عبد الملك بن مروان ، فلما قتل عبد الرحمن وانهزم أصحابه من دير الجماجم (١) هرب فلحق بمكة ؛ وكان واليها يومئذ خالد بن عبد الله القسرى ، فأخذه و بعث به إلى الحجاج بن يوسف الثقفى مع إسماعيل بن واسط البجلى ، فقال له الحجاج ، ما اسمك ؟ قال سعيد بن جبير ، قال بل أنت شقى بن كسير ، قال بل أمى أعلم باسمى منك قال شقيت أمك وشقيت أنت قال الغيب يعلمه غيرك قال لأبدلنك بالدنيا نارا تتلظى ؛ قال لو علمت أن ذلك بيدك لا تخذتك إلها قال فما قولك فى محمد ؟ . قال نبى الرحمة وإمام الهدى ، قال فما قولك فى على أهو فى الجنة أو هو فى النار ؟ قال لو دخلتها و عرفت من فيها عرفت أهلها : قال فما قولك فى الخلفاء ؟ قال لست عليهم بوكيل قال فأيهم أعجب إليك ؟ قال أرضاهم لخالقى قال : فأيهم أرضى للخالق ؟ . قال علم ذلك عند الذى يعلم سرهم و نجواهم ؛ قال : أحب أن تصدقنى ، قال إن لم أحبك لن أكذبك قال فما بالك لا تضحك ؟ قال : وكيف يضحك مخلوق خلق من طين و الطين تأكله النار ؟ . قال فما بالنا تضحك ؟ قال : لم تستو القلوب

---

(١) موضع فى العراق

ثم أمر الحجاج باللؤلؤ و الزبرجد و الياقوت فجمعه بين
يديه فقال سعيد إن كنت جمعت هذا لتتقى به فزع يوم القيامة
فصالح و إلا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، و لا
خير فى شئ جمع الدنيا إلا ما طاب و ذكا ، ثم دعا الحجاج بالعود
و النأى فلما ضرب بالعود و نفخ فى النأى بكى سعيد فقال ما
يبكيك ؟ هو اللعب ! قال سعيد هو الحزن أما النفخ فذكرنى يوما
عظيما يوم النفخ فى الصور ، و أما العود فشجرة قطعت فى غير حق .
و أما الأوتار فمن الشاة تبعث معها يوم القيامة ، قال الحجاج
ويلك يا سعيد ؛ قال لا ويل لمن زحزح عن النار و أدخل الجنة
قال الحجاج ؛ اختر يا سعيد أى قتلة أقتلك قال اختر لنفسك يا
حجاج ؛ فوالله لا تقتلنى قتلة إلا قتلك مثلها فى الآخرة . قال
أفتريد أن أعفو عنك ؟ قال إن كان العفو فمن الله ؛ وأما أنت
فلا براءة لك و لا عذر : قال الحجاج إذهبوا به فاقتلوا فلما
خرج ضحك : فأخبر الحجاج بذلك ، فرده : و قال : ما أضحكك ؟ قال :
عجبت من جراءتك على الله و حلم الله عليك ، فأمر بالنطع فبسط
و قال : اقتلوه ؛ فقال سعيد وجهت و جهى للذى فطر السموات
و الأرض حنيفا و ما أنا من المشركين ؛ قال وجهوا لغير
القبلة ، قال سعيد فأينما تولوا فثم وجه الله ، قال كبوه لوجهه .
قال سعيد أما إنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛
و أن محمداً عبده و رسوله ، خذها منى حتى تلقانى بها يوم القيامة ؛
ثم دعا سعيد فقال أللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدى

وكان قتله فى شعبان خمس و تسعين للهجرة ، بواسط ، (١) ومات الحجاج بعده فى شهر رمضان من السنة المذكورة و لم يسلطه الله عز وجل بعده على قتل أحد إلى أن مات ، و قال أحمد بن حنبل : قتل الحجاج سعيد بن جبير و ما على وجه الأرض أحد إلا هو مفتقر إلى علمه

ثم مات الحجاج بعده فى شهر رمضان من السنة ، و قيل بل مات بعده بستة أشهر ؛ و لم يسلطه الله تعالى بعده على قتل أحد حتى مات ، و لما قتله سال منه دم كثير : فاستدعى الحجاج الأطباء و سألهم عنه ، و عمن كان قتله قبله ، فانه كان يسيل منهم دم قليل ، فقالوا له : هذا قتلته ونفسه معه ، و الدم تبع للنفس ، و من كنت تقتله قبله كانت نفسه تذهب من الخوف ؛ فلذلك قل دمهم ؛

و قيل للحسن البصرى إن الحجاج قد قتل سعيد بن جبير ؛ فقال : اللهم ائت على فاسق ثقيف ؛ و الله لو أن من بين المشرق و المغرب اشتركوا فى قتله لكبهم الله عزوجل فى النار ،

و يقال ان الحجاج لما حضرته الوفاة كان يغيب ويفيق ، و يقول مالى و لسعيد بن جبير و قيل إنه فى مدة مرضه كان إذا نام رأى سعيد بن جبير ، آخذا بمجامع ثوبه و يقول له : يا عدو الله ، فيم قتلتنى ؟ فيستيقظ مذعورا و يقول مالى و لسعيد بن جبير ؟ و يقال : إنه رؤى الحجاج فى المنام بعد موته ، فقيل له ما فعل الله بك؟ فقال : قتلنى بكل قتيل قتلته قتلة ، و قتلنى بسعيد بن جبير سبعين قتلة .

(وفيات الاعيان لابن خلكان)

---

(١) موضع كان فى العراق

صلف(١)ملك

قال أبو عمرو الشيبانى لما أسلم جبلة (٢) بن الأيهم الغسانى وكان من ملوك آل جفنة كتب إلى عمر رضى الله يستأذن فى القدوم عليه فأذن له عمر ؛ فخرج إليه فى خمسمأية من أهل بيته من عك وغسان ، حتى إذا كان على مرحلتين كتب إلى عمر يعلمه عن قدومه ؛ فسر عمر رضوان الله عليه وأمر الناس باستقباله وبعث إليه بأنزال ؛ وأمر جبلة مائتى رجل من أصحابه فلبسوا السلاح والحرير وركبوا الخيول معقودة أذنابها ، وألبسوها قلائد الذهب والفضة ؛ ولبس جبلة تاجه وفيه قرطا مارية وهى جدته ، ودخل المدينة ، فلما انتهى إلى عمر رحب به وألطفه وأدنى مجلسه ثم أراد عمر الحج فخرج معه جبلة فبينا هو يطوف بالبيت وكان مشهورا بالموسم إذ وطئ إزاره رجل من بنى فزارة فانحل ؛ فرفع جبلة يده فهشم أنف الفزارى ؛ فاستعدى عليه عمر رضوان الله عليه فبعث إلى جبلة فأتاه فقال ما هذا . قال : نعم يا أمير المؤمنين إنه تعمد حل إزارى ولولا حرمة الكعبة لضربت بين عينيه بالسيف ، فقال له عمر ، قد أقررت فاما أن ترضى الرجل وإما أن أقيده منك ، قال جبلة : ماذا تصنع بى ، قال : آمر بهشم أنفك كما فعلت ، قال : وكيف ذاك يا أمير المؤمنين وهو سوقة (٣)

---

(١) التكبر الشنيع (٢) كان ملكا لعرب الشام (٣) الرعية من الناس

و أنا ملك ، قال إن الاسلام جمعك و إياه فليس تفضيله بشئ إلا بالتقى و العافية ، قال جبلة ، قد ظننت يا أمير المؤمنين أنى أكون فى الاسلام أعز منى فى الجاهلية ، قال عمر دع عنك هـذا فانك إن لم ترض الرجل أقدته منك ، قال إذاً أتنصر قال إن تنصرت ضربت عنقك لأنك قد أسلمت فان ارتددت قتلتك ، فلما رأى جبلة الصدق من عمر قال أناظر فى هذا ليلتى هذه وقد اجتمع بباب عمر من حى هـذا و حى هـذا خلق كثير حتى كادت تكون بينهم فتنـة ، فلما أمسوا أذن له عمر فى الانصراف حتى إذا نام النا س وهدأوا حمل جبلة بخيله و رواحله إلى الشام فأصبحت مكة و هى منهم بلاقع (١) فلما انتهى إلى الشام تحمل فى خمسمأئة رجل من قومه فسر هرقل بذلك جدا : و ظن أنه فتح من الفتوح عظيم و أقطعه حيث شاء و أجرى عليه من النزل ماشاء : وجعله من محدثيه و سماره ، ثم إن عمر رضى الله عنـــه بدا له أن يكتب إلى هر قل يدعوه إلى الله جل و عز إلى الاسلام و وجه إليه رجلا من أصحابه و هو جثامة بن مساحق الكنانى فلما انتهى إليه الرجل بكتاب عمر أجاب إلى كل شئ سوى الاسلام . فلما أراد الرسول الانصراف قال له هرقل هل رأيت ابن عمك هـــذا الذى جاءنا راغبا فى دينا ؛ قال لا قال فالقه (قال الرجل) فتوجهت إليه فلما انتهيت إلى بابه رأيت من البهجه والحسن والسرور مالم أر بباب هرقل مثله . فلما أدخلت عليه إذا هو فى بهو عظيم و فيه من التصاوير

(١) جمع بلقع ، الأرض المقفرة

مالا أحسن وصفه ، وإذا هو جالس على سرير من قوارير (١) قوائمه أربعة أسد من ذهب ؛ وإذا هو رجل أصهب (٢) ذو سبال (٣) وعثنون (٤) وقد أمر بمجلسه فاستقبل به وجه الشمس فما بين يديه من آنية الذهب والفضة يلوح فما رأيت أحسن منه ، فلما سلمت رد السلام ورحب بى وألطفنى ولامنى على تركى النزول عنده ثم أقعدنى على شئ لم أثبته فاذا هو كرسى من ذهب فانحدرت عنه ؛ فقال مالك ، فقلت إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا ، فقال جبلة ايضاً مثل قولى فى النبى ﷺ حين ذكرته وصلى عليه ؛ ثم قال : إنك يا هذا إذا طهرت قلبك لم يضرك ما لبسته ولا ما جلست عليه ؛ ثم سألنى عن الناس وألحف فى السؤال عن عمر ، ثم جعل يفكر حتى رأيت الحزن فى وجهه ، فقلت ما يمنعك من الرجوع إلى قومك والاسلام ، قال أبعد الذى قد كان ، قلت ارتد الأشعث بن قيس ومنعهم الزكاة وضربهم بالسيف ثم رجع إلى الاسلام ؛ فتحدثنا مليا ثم سلمت عليه وانصرفت ؛ فلما قدمت على عمر سألنى عن هرقل وجبلة ، فقصصت عليه القصة من أولها إلى آخرها ؛ فقال : أو رأيت جبلة يشرب الخمر ، قلت : نعم قال أبعده الله تعجل فانية اشتراها بباقية . فما ربحت تجارته ، وذكر الزبير بن بكار أن معاوية لما ولى بعث إلى جبلة فدعاه إلى الرجوع إلى الاسلام ووعده إقطاع الغوطة بأسرها فأبى ولم يقبل

(الأغانى)

(١) القوارير شجر يشبه الدلب تعمل منه الرحال والموائد (٢) أصهب: من فى بياضه حمرة ، (٣) جمع سبلة ، والسبلة شعر الشارب ، او مقدم اللحية (٤) اللحية ،

الفرزدق و إبليس

أطعتك يا إبليس سبعين حجة … فلما انتهى شيبى و تم تمامى

فررت إلى ربى و أيقنت أننى … ملاق لأيام المنون حمامى

ألا طالما قد بت يوضع(١) ناقتى … أبو الجن إبليس بغير خطام

يبشرنى فى أن لن أموت و إنه … سيخلدنى فى جنه و سلام

فقلت له هلا أخيك أخرجت … يمينك من خضر البحور طوامى(٢)

رميت به فى اليم لما رأيته … كفرقة طودى(٣) يذبل(٤) وشمام(٥)

وآدم قد أخرجته وهو ساكن … و زوجته من خير دار مقام

وأقسمت يا إبليس أنك ناصح … له و لها إقسام غير أثام

سأجزيك من سوءات ما كنت سقتنى … إليه جروحا فيك ذات كلام

تعيرها فى النار و النار تلتقى

عليك بزقوم (٦) لها و ضرام

---

(١) يجعل الجمل يسرع فى سيره ، (٢) جمع طامية ، فائضة ، طاغية

(٣) الجبل العظيم ، مثناة طود (٤ - ٥) جبلان فى الحجاز (٦) نبات مر

عمر بن عبد العزيز وبيت مال المسلمين

استفتح عمر ولايته ببيع أموال سليمان و رباعه و كسوته و جميع ما كان يملكه ، فبلغ ذلك أربعة و عشرين ألف دينار فجمع ذلك كله و جعله فى بيت المال ؛ ثم دخل على زوجته فاطمة ابنة عبد الملك فقال لها يا فاطمة فقالت لبيك يا أمير المؤمنين فجعل يبكى وكان لها محبا و بها كلفا ؛ ثم استفاق من بكائه فقال لها اختارينى أو اختارى الثوب الذى عمل لك أبوك ؛ وكان قد عمل لها أبوها عبد الملك ثوبا منسوجا بالذهب منظوما بالدر و الياقوت أنفق عليه مأية ألف دينار ، فقال لها إن اخترتنى فانى آخذ الثوب فأجعله فى بيت المال و إن اخترت الثوب فلست لك بصاحب ، فقالت أعوذ بالله يا أمير المؤمنين من فراقك لا حاجة لى بالثوب ؛ فقال عمر وأنا أفعل بك خصلة (١) أجعل الثوب فى آخر بيت المال و أنفق ما دونه ، فان وصلت إليه أنفقته فى مصالح المسلمين و إنما هو من أموال المسلمين و أنفقت فيه ، و إن بقى الثوب و لم أحتج إليه فلعل أن يأتى بعدى من يرده إليك ؛ قالت إفعل ما بدالك ؛ ثم دخل عليه ابن له و عليه قميص قد تذعذع (٢) فقال له عمر رقع قميصك يا بنى فوالله ما كنت قط بأحوج إليه منك اليوم

---

(١) أعمل لك عملا (٢) تفرق وتبدد

ذكروا عن عبد الأعلى بن أبى المشاور أنه أخبرهم قال قدم جرير (١) شاعر أهل العراق و أهل الحجاز على عمر أول مااستخلف فدخل عليه و قال السلام عليك يا أمير المؤمنين و رحمة الله ثم قال: إن الخلفاء كانت تتعاهد فى فيما مضى بجوائز و صلات ثم أنشأ يقول

إنا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا   من الخليفة ما نرجو من المطر

وقال

كم باليمامة (٢) من شعثاء أرملة   ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
يدعوك دعوة ملهوف كأن به   خبلا (٣) من الجن أو مسا من البشر

وقال

هذى الأرامل قد قضيت حاجتها   فمن لحاجة هذا الأرمل الذكر

وقال

أنت المبارك و المهدى سيرته   تعصى الهوى وتقوم الليل بالسور

قال فبكى عمر و هملت عيناه و قال ارفع حاجتك إلينا ياجرير قال جرير ما عودتنى الخلفاء قبلك. قال و ما ذلك قال أربعة آلاف دينار و توابعها من الحملان و الكسوة، قال عمر أمن أبناء المهاجرين أنت قال لا، قال أفمن أبناء الأنصار أنت قال لا. قال أفقير أنت من فقراء المسلمين قال نعم. قال فأكتب لك إلى عامل بلدك أن يجرى على فقير من فقرائهم؛ قال جرير أنا أرفع من هذه

(١) أحد الأعاظم من الشعراء الأمويين (٢) قطر فى نجد (٣) فساد الأعضاء أو الفالج

الطبقة يا أمير المؤمنين ، قال فانصرف جرير فقال عمر ردوه على فلما رجع قال له عمر . قد بقيت خصلة أخرى ، عندى نفقة و كسوة أعطيك بعضها ؛ ثم وصلها بأربعة دنانير فقال و أين تقع مني هذه يا أمير المؤمنين . فقال عمر إنها و الله لمن خالص مالى و لقد أجهدت لك نفسى ، فقال جرير و الله يا أمير المؤمنين إنها لأحب مال كسبته ، ثم خرج فلقيه الناس فقالوا له ما وراءك قال : جئتكم من عند خليفة يعطى الفقراء و يمنع الشعراء و إنى عنه لراض .

(الامامة و السياسة لابن قتيبة)

إحياء الموؤدات

قال صعصعة جد الفرزدق : خرجت باغيا ناقتين لى . فرفعت لى نار فسرت نحوها و هممت بالنزول ، فجعلت النار تضئ مرة و تخبو أخرى ؛ فلم تزل تفعل ذلك حتى قلت : اللهم لك على إن بلغتنى هذه النار ألا أجد أهلها يوقدون لكربة يقدر أحد من الناس أن يفرجها إلا فرجتها عنهم :

فلم أسر إلا قليلا حتى أتيتها فاذا حى من بنى انمار ؛ و إذا بشيخ حادر (١) أشعر (٢) يوقدها فى مقدم بيته ؛ و النساء قد

(١) الحسن السمين (٢) كثير الشعر

اجتمعن إلى امرأة ماخض (١) قد حبستهن ثلاث ليال فسلمت ، فقال الشيخ : من أنت ؟ قلت : أنا صعصعة بن ناجية ، قال مرحبا بسيدنا ، ففيم أنت يا ابن أخى ؟ فقلت في بغاء ناقتين لى ، عمى على أثرهما (٢) فقال : قد وجدتهما بعد أن أحيا الله بهما أهل بيت من قومك ، وهما فى أدنى الابل ، قلت ففيم توقد نارك منذ الليلة ؟ قال : أوقدها لامرأة ماخض قد حبستنا منذ ثلاث ليال ، وتكلمت النساء فقلن : قد جاء الولد ، فقال الشيخ : إن كان غلاما فوالله ما أدرى ما أصنع به ، وإن كانت جارية فلا أسمعن صوتها إلى أقتلها ، فقلت : يا هذا ذرها ؛ فانها ابنتك ورزقها على الله فقال : أقتلها ؛ فقلت : أنشدك الله ، فقال : إنى أراك بها حفيا (٣) فاشترها منى فقلت إنى اشتريتها منك ، فقال : ما تعطينى ؟ قلت : إحدى ناقتى قال : لا ، قلت : فأزيدك الأخرى فنظر إلى جملى الذى تحتى فقال : لا ، إلا أن تزيدنى جملك هذا فانى أراه حسن اللون شاب السن ، فقلت : هو لك والناقتان : على أن تبلغنى أهلى عليه قال : قد فعلت ؛ فابتعتها منه بلقوحين (٤) وجمل ؛ وأخذت عليه عهد الله وميثاقه ليحسنن برها وصلتها ما عاشت حتى تبين منه أو يدركها الموت ؛

فلما برزت من عنده حدثتنى نفسى وقلت : إن هذه المكرمة ما سبقنى إليها أحد من العرب ، فآليت ألا يئد أحد بنتا له

(١) التى دنا وقت الولادة منها (٢) خفى على أثرهما (٣) اى ملحا فى السؤال (٤) تثنية لقوح وهى الناقة الحاملة

إلا اشتريتها منه بلقوحين وجمل : فبعث الله عز وجل محمدا عليه السلام وقد أحييت مأية موؤدة إلا أربعا ، ولم يشاركنى فى ذلك أحد حتى أنزل الله تحريمه فى القرآن

وقد فخر بذلك الفرزدق فى عدة من شعره : ومنها قصيدته التى أولها

أبى أحد الغيثين صعصعة الذى متى تخلف الجوزاء (١) والدلو (٢) يمطر
أجار بنات الوائدين ومن يجر على الفقر يعلم أنه غير مخفر
أنا ابن الذى ردّ المنية فضله
فما حسب دافعت عنه بمعور

(الأغانى)

الصورة و السيرة

عباس بن مرداس

ترى الرجل النحيف فتزدريه وفى أثوابه أسد مزير (٣)
ويعجبك الطرير (٤) فتبتليه فيخلف ظنك الرجل الطرير
فما عظم الرجال لهم بفخر ولكن فخرهم كرم وخير

(١-٢) برجان فى السماء (٣) شديد القلب (٤) الشاب الغض

بغاث الطير أكثرها فراخا   وأم الصقر مقلات(١) نزور(٢)
ضعاف الطير أطولها جسوماً   ولم تطل البزاة و لا الصقور
لقد عظم البعير بغير لب   فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصبي بكل وجه   ويحبه على الخسف الجرير (٣)
و تضربه الوليدة بالهراوى (٤)   فلا غير لديه و لا نكير

فان أك فى شراركم قليلا
فانى فى خياركم كثير

﴿ الحماسة ﴾

تدبير حرب

(١)

قال بيدبا : زعموا أنه كان فى جبل من الجبال شجرة من شجر الدوح ، فيها وكر ألف غراب و عليهن وال من أنفسهن وكان عند هذه الشجرة كهف فيه ألف بومة ، و عليهن وال منهن فخرج ملك البوم لبعض غداوته و روحاته ، و فى نفسه العداوة لملك الغربان ؛ و فى نفس الغربان و ملكها مثل ذلك للبوم فأغار ملك البوم فى أصحابه على الغربان فى أوكارها ؛ فقتل وسبى منها خلقاً كثيرا ، وكانت الغارة ليلا فلما أصبحت الغربان اجتمعت

(١) التى لا يعيش لها ولد (٢) قليلة الولد أو اللبن (٣) حبل يجعل للبعير
(٤) جمع الهراوة . العصا

إلى ملكها فقلن له قد علمت ما لقينا الليلة من ملك البوم وما منا إلا من أصبح قتيلا أو جريحا أو مكسور الجناح أو منتوف الريش أو مقطوف الذنب ؛ وأشد مما أصابنا ضرا علينا جراءتهن علينا ؛ وعلمهن بمكاننا ، وهن عائدات إلينا غير منقطعات عنا ، لعلمهن بمكاننا ؛ فانما نحن لك ؛ ولك الرأى أيها الملك ؛ فانظر لنا ولنفسك . وكان في الغربان خمسة معترف لهن بحسن الرأى يسند إلهن في الأمور ويلقى عليهن أزمة الأحوال ، وكان الملك كثيرا ما يشاورهن في الأمور ويأخذ آراءهن في الحوادث والنوازل .

فقال الملك للاول من الخمسة : ما رأيك في هذا الأمر ؟ قال رأيي قد سبقتنا إليه العلماء ؛ وذلك أنهم قالوا : ليس للعدو الحنق إلا الهرب منه ؛ قال الملك للثانى ، ما رأيك أنت في هذا الأمر ؟ قال : رأيي ما رأى هذا من الهرب ، قال الملك ، لاأرى لكما ذلك رأياً ، أن نرحل عن أوطاننا ونخليها لعدونا من أول نكبة أصابتنا منه ؛ ولا ينبغى لنا ذلك ، ولكن نجمع أمرنا ونستعد لعدونا ونذكى (١) نار الحرب فيما بيننا وبين عدونا ، ونحترس من الغرة إذا أقبل إلينا ؛ فنلقاه مستعدين ، ونقاتله قتالا غير مراجعين فيه ، ولا مقصرين عنه ، وتلقى أطرافنا أطراف العدو ، ونحترز بحصوننا وندافع عدونا ، بالأناة (٢) مرة وبالجلاد (٣) أخرى ، حيث نصيب فرصتنا وبغيتنا : وقد ثنينا (٤) عدونا عنا

---

(١) توقد (٢) الوقار والحلم (٣) القتال (٤) صرفنا عدونا

ثم قال الملك للثالث ما رأيك أنت ، قال ما أرى ما قالا رأيا ؛ و لكن نبث العيون و نبث الجواسيس ؛ و نرسل الطلائع بيننا و بين عدونا : فنعلم أيريد صلحنا أم يريد حربنا ، أم يريد الفدية ، فان رأينا أمره أمر طامع فى المال ؛ لم نكره الصلح على خراج نؤديه إليه فى كل سنة ندفع به عن أنفسنا ؛ و نطمئن فى أوطاننا ؛ فان من آراء الملوك إذا اشتدت شوكة عدوهم ؛ فخافوه على أنفسهم و بلادهم ، أن يجعلوا الأموال جنة البلاد و الملك الرعية ، قال الملك للرابع ؛ فما رأيك فى هذا الصلح ؟ قال لا أراه رأيا ، بل أن نفارق أوطاننا و نصبر على الغربة و شدة المعيشة خير من أن نضيع أحسابنا ، و نخضع للعدو الذى نحن أشرف منه ؛ مع أن البوم لو عرضنا ذلك عليهن لما رضين منا إلا بالشطط (١) و يقال فى الأمثال ، قارب عدوك بعض المقاربة تنل حاجتك ؛ و لا تقاربه كل المقاربة فيجترى عليك ، و يضعف جندك وتذل نفسك ؛ و مثل ذلك مثل الخشبة المنصوبة فى الشمس ؛ إذا أملتها قليلا زاد ظلها و إذا جاوزت بها الحد فى إمالتها نقص الظل ، و ليس عدونا راضيا بالدون فى المقاربة ؛ فالرأى لنا ولك المحاربة .

قال الملك للخامس ما تقول أنت ؟ و ماذا ترى : القتال أم الصلح ، أم الجلاء عن الوطن ؟ قال : أما القتال فلا سبيل للمرء إلى قتال من لا يقوى عليه ؛ و قد قال أنه من لا يعرف نفسه

---

(١) التباعد عن الحق ؛

وعدده و قاتل من لا يقوى عليه ؛ حمل نفسه على حتفها ؛ مع أن العاقل لا يستصغر عدوا فان من استصغر عدوه اغتر به ؛ ومن اغتر بعدوه لم يسلم منه و انا للبوم شديد الهيبة ، و إن أضربن عن قتالنا ، و قد كنت أهابها قبل ذلك فان الحازم لا يأمن عدوه على كل حال ، فان كان بعيدا لم يأمن سطوته ، و إن كان مكثبا لم يأمن و ثبته ، و إن كان وحيدا لم يأمن مكره . و أحزم الأقوام و أكيسهم من كره القتال لأجل النفقة فيه : فان ما دون القتال النفقة فيه من الأموال و القول و العمل ، و القتال النفقة فيه من الأنفس و الأبدان ، فلا يكونن القتال للبوم من رأيك : أيها الملك : فان من قاتل من لا يقوى عله فقد غرر بنفسه ، فاذا كان الملك محصنا للاسرار ، متخيرا للوزراء مهيبا فى أعين الناس بعيدا من أن يقدر عليه كان خليقا ألا يسلب صحيح ما أوتى من الخير و أنت : أيها الملك ، كذلك ، و قد استشرتنى فى أمر جوابك منى عنه فى بعضه علانية ؛ و فى بعضه سر ؛ و للاسرار منازل : منها ما يدخل فيه الرهط و منها ما يستعان فيه بالقوم ؛ و منها ما يدخل فيه الرجلان و لست أرى لهذا السر على قدر منزلته أن يشارك فيه إلا أربع أذان و لساتان ؛ فنهض الملك من ساعته ، و خلا به . فاستشاره ، فكان أول ما سأله عنه الملك أنه قال هل تعلم ابتداء عداوة ما بيننا و بين البوم ؟ قال نعم كلمة تكلم بها غراب ؛ قال الملك و كيف كان ذلك ؟

قال الغراب زعموا أن جماعة من الكراكى (١) لم يكن لها ملك ، فأجمعت أمرها على أن يملكن عليهن ملك البوم ، فبينما هى فى مجمعها إذ وقع لهاغراب ؛ فقلت لوجاءنا هذا الغراب لاستشرناه فى أمرنا ؛ فلم يلبثن دون أن جاءهن الغراب ، فاستشرنه ، فقال : لو أن الطير بادت من الأقاليم ، و فقد الطاوس و البط و النعام والحمام من العالم لما اضطررتن إلى أن تملكن عليكن البوم التى هى أقبح الطير منظرا و أسوؤها خلقا ؛ و أقلها عقلا ؛ و أشدها غضبا ، و أبعدها من كل رحمة ، مع عماها و ما بها من العشا بالنهار و أشد من ذلك و أقبح أمورها سفهها و سوء أخلاقها ، إلا أن ترين أن تملكنها و تكن أنتن تدبرن الأمور دونها برأيكن و عقولكن .

ثم إن البوم تجمع — مع ما وصفت لكن من الشؤم — سائر العيوب فلا يكونن تمليك البوم من رأيكن فلما سمع الكراكى ذلك من كلام الغراب أضربن عن تمليك البوم ، وكان هناك بوم حاضر قد سمع ما قالوا : فقال للغراب لقد و ترتنى (٢) أعظم الترة ، و لا أعلم أنه سلف منى إليك سوء أوجب هذا ، و بعد فاعلم أن الفأس يقطع به الشجر ، فيعود ينبت ، و السيف يقطع اللحم ، ثم يعود فيندمل ؛ و اللسان لا يندمل جرحه و لا توسى مقاطعه ، و النصل من السهم يغيب فى اللحم ثم ينزع فيخرج ، و أشباه النصل من الكلام إذا وصلت إلى القلب لم تنزع ولم تستخرج ، ولكل

(١) جمع الكراكى . طائر كبير يعيش حول الماء (٢) أصبتنى بأذى عظيم ، جعل ذلك فى قلبى عداوة لاتمحى وحقدا لايزول.

حريق مطفئ فللنـار المـاء : و للسم الدواء و للحزن الصبر ، و نار الحقد لا تخبو أبدا ، و قـد غرستم ، معـاشر الغربان ، بيننا و بينكم شجر الحقد و العداوة و البغضاء ،

فلما قضى البوم مقالته ؛ ولى مغضبا : فأخبر ملك البوم بما جرى و بكل ما كان من قـول الغراب ، ثم إن الغراب ندم على ما فرط منه ؛ و قال و الله لقد خرقت فى قـولى الذى جلبت به العداوة و البغضاء على نفسى و قومى ! و ليتنى لم أخبر الكراكى بهذه الحال ! و لا أعلمتها بهذ الأمر ! و لعل أكثر الطير قد رأى أكثر مما رأيت و علم أضعـاف ما علمت فمنعها من الكلام بمثل ما تكلمت اتقـاء ما لم أتق ، و النظر فيما لم أنظر فيـه من حـذار العواقب ، لا سيما إذا كان الكلام أفظع كلام ، يلقى منه سامعـه و قائله المكروه ممـا يورث الحقد و الضغينة (١) فلا ينبغى لأشباه هذا الكلام أن تسمى كلاما ، و لـكن سهاما ، و العاقل ، و ان كان واثقا بقوته و فضله لا ينبغى أن يحمله ذلك على أن يخلب العداوة على نفسه ، اتكالا على ما عنـده من الرأى و القـوة كما أنه و إن كان عنده الترياق لا ينبغى له أن يشرب السم اتكالا على ما عنده ، و صاحب حسن العمل و إن قصر به القول فى مستقبل الأمر كان فضله بينا واضحا فى العاقبة و الاختبار و صاحب حسن القول و إن أعجب الناس منه حسن صفته للامور ، لم تحمد عاقبة أمره ، و أنا صاحب القول الذى لا عاقبـة له محمودة ، أليس من سفهى

(١) الضغينة . الحقد (٢) احدل

اجترائى على التكلم فى الأمر الجسيم لا أستشير فيه أحدا و لم أعمل فيه رأيا ؟ و من لم يستشر النصحاء الأولياء ، و عمل برأيه من غير تكرار النظر و الروية ، لم يغتبط بواقع رأيه فما كان أغنانى عما كسبت يومى هذا ، و ما وقعت فيه من الهم ! و عاتب الغراب نفسه بهذا الكلام و أشباهه و ذهب : فهذا ما سألتنى عنه من ابتداء العداوة بيننا و بين البوم

و أما القتال فقد علمت رأيى فيه و كراهتى له ؛ و لكن عندى من الرأى و الحيلة غير القتال ما يكون فيه الفرج إنشاء الله تعالى فانه رب قوم قد احتالوا بآرائهم حتى ظفروا بما أرادوا ؛ و من ذلك حديث الجماعة الذين ظفروا بالناسك و أخذوا عريضه (١) ، قال الملك ، و كيف كان ذلك ؟

قال الغراب زعموا أن ناسكا لمشترى عريضا ضخما ليجعله قربانا ، فانطلق به يقوده ، فبصر به قوم من المكرة ، فأتمروا بينهم أن يأخذوه من الناسك ، فعرض له أحدهم فقال له أيها الناسك ، ما هذا الكلب الذى معك ؟ ثم عرض له الآخر ، فقال لصاحبه ما هذا ناسك ؛ لأن الناسك لا يقود كلبا فلم يزالوا مع الناسك على هذا و مثله حتى لم يشك أن الذى يقوده كلب : و أن الذى باعه إياه سحر عينه ، فأطلقه من يده فأخذه الجماعة المحتالون و مضوا به ؛ و إنما ضربت لك هذا المثل لما أرجو أن نصيب من حاجتنا بالرفق ؛ و الحيلة ، و إنى أريد من الملك أن ينقرنى على

(١) الشاة

رؤس الأشهاد ؛ و ينتف ريشى و ذنبى ثم يطرحنى فى أصل هذه الشجرة و يرتحل الملك هو و جنوده إلى مكان كذا ؛ فأرجو أنى أصبر و أطلع على أحوالهم و مواضع تحصينهم و أبوابهم فأخادعهم و آتى إليكم لنهجم عليهم و ننال منهم غرضنا إن شاء الله تعالى

قال الملك أ تطيب نفسك لذلك ؟ قال نعم ؛ وكيف لا تطيب نفسى لذلك و فيه أعظم الراحات للملك و جنوده ؟ ففعل الملك بالغراب ما ذكر ، ثم ارتحل عنه ؛ فجعل الغراب يئن (١) و يهمس (٢) حتى رأته البوم و سمعته يئن فأخبرن ملكهن بذلك ؛ فقصد نحوه ليسأله عن الغربان ، فلما دنا منه أمر بوما أن يسأله فقال له من أنت ؟ و أين الغربان ؟ فقال أما اسمى ففلان و أما ما سألتنى عنه فانى أحسبك ترى أن حالى حال من لا يعلم الأسرار ، فقيل لملك البوم هذا وزير ملك الغربان و صاحب رأيه فنسأله بأى ذنب صنع به ما صنع ؟ فسئل الغراب عن أمره فقال إن ملكنا استشار جماعتنا فيكن وكنت يومئذ بمحضر من الأمر ، فقال : أيها الغربان ؛ ما ترون فى ذلك ؟ فقلت : أيها الملك لا طاقة لنا بقتال البوم : لأنهن أشد بطشا و أشد قلبا منا ، و لكن أرى أن تلتمس الصلح ثم نبذل الفدية فى ذلك منا ؛ و إلاهربنا فى البلاد ؛ و إذا كان القتال بيننا و بين البوم كان خيراً لهن و شراً لنا ، فالصلح أفضل من الخصومة ، و أمرتهن بالرجوع عن

(١) بصوت لألم ويتأوه (٢) يخرج صوتا خفياً

الحرب و ضربت لهن الأمثال فى ذلك ؛ و قلت لهن إن العـدو الشديد لا يرد بأسه و غضبه مثل الخضوع له : ألا ترين إلى الحشيش كيف يسلم من عاصف الريح للينـه و ميله معها حيث ما لت ؛ فعصينى فى ذلك ، و زعمن أنهن يردن القتال و اتهمنى فيما قلت و قلن إنك قد مالأت البوم علينا ورددن قولى و نصيحتى ، وعذبنى بهـذا العذاب ، و تركنى الملك و جنوده و ارتحل و لا علم لى بهن بعد ذلك ،

تدبير حرب

(٢)

فلما سمع ملك البوم مقالة الغراب قال لبعض وزرائه ما تقول فى الغراب ؟ و ما ترى فيـه ؟ قال : ما أرى إلا المعاجلة له بالقتل فان هذا أفضل عـدد الغربان ، و فى قتله لنا راحة من مكره ، و فقده على الغربان شديد ، و يقال : من ظفر بالساعة التى فيها ينجح العمل ؛ ثم لا يعاجله بالذى ينبغى له فليس بحكيم ؛ و من طلب الأمر الجسيم ، فأمكنه ذلك فأغفله ؛ فاته الأمر ، و هو خليق ألا تعود له الفرصة ثانية ، و من وجد عدوه ضعيفا ، و لم ينجز قتله ؛ ندم إذا استقوى ولم يقدر عليه ، قال الملك لوزير آخر : ما ترى أنت

فى هذا الغراب ؟ قال أرى ألا تقتله ؟ فان العدو الذليل الذى لا ناصرله أهل لأن يستبق و يرحم و يصفح عنــه لا سيما المستجير الخائف ، فانه أهل لأن يؤمن ،

قال ملك البــوم لوزير آخر من وزرائه : ما تقول فى الغراب قال أرى أن تستبقيه وتحسن إليــه فانه خليق أن ينصحك ، و العاقل يرى معاداة بعض أعدائه بعضا ظفرا حسنا ؛ و يرى اشتغال بعض الأعداء ببعض خلاصا لنفسه منهم ؛ و نجـاة كنجاة الناسك من اللص و الشيطـان حين اختلفا عليــه قال الملك له وكيف كان ذلك ؟

قال الوزير زعموا أن ناسكا أصاب من رجل بقرة حلوبا ؛ فانطلق بهـا يقودها إلى منزله ، فعرض له لص أراد سرقتها ، و اتبعه شيطـان يريد اختطافه ، فقال الشيطان للص ، من أنت ؟ قال أنا اللص ؛ أريد أن أسرق هـذه البقرة من النـاسك إذا نام ، فمن أنت قال : أنا الشيطـان أريد اختطافه إذا نام و أذهب به ، فانتهيـا على إلى المنزل ؛ فــدخل الناسك منزله ، و دخلا خلفه ؛ و أدخل البقرة فربطها فى زاوية المنزل ؛ و تعشى و نام : فأقبل اللص و الشيطان يأتمران فيه ، و اختلفـا على من يبدأ بشغله أولا ؛ فقـال الشيطـان للص : إن أنت بدأت بأخذ البقرة فربما استيقظ و صاح ، و اجتمع النـاس فلا أقدر على أخذه ، فأنظرنى ريثما آخذه ؛ و شأنك و ما تريد ، فأشفق اللص إن بدأ الشيطان باختطـافه فربمـا استيقظ ، فلا يقــدر على أخذ البقرة ، فقال : لا ، بل أنظرنى أنت آخذ البقرة ؛

و شأنك و ما تريد ؛ فلم يزالا فى المجادلة هكـــذا حتى نادى اللص أيها الناسك انتبه ، فهذا الشيطان يريد اختطافك ، و نادى الشيطان : أيها الناسك إنتبه ، فهذا اللص يريد أن يسوق بقرتك ؛ فانتبه الناسك و جيرانه بأصواتهما ؛ و هرب الخبيثان ، قال الوزير الأول الذى أشار بقتل الغراب : أظن أن الغراب قد خدعكن ، و وقع كلامه فى نفس الغبى منكن موقعه ، فتردن أن تضعن الرأى فى غير موضعه ، فمهلا مهلا أيها الملك عن هذا الرأى ، فلم يلتفت الملك إلى قوله وأمر بالغراب أن يحمل إلى منازل البوم ؛ و يكرم ويستوصى به خيرا ؛ ورفق بالغراب ، و لم يزدد له إلا إكراما ؛ حتى إذا طاب عيشه و نبت ريشه ، و اطلع على ما أراد أن يطلع عليه راغ روغة فأتى أصحابه بما رأى و سمع ؛ فقال للملك إنى قد فرغت عما كنت أريد ؛ و لم يبق إلا أن تسمع و تطيع قال له أنا والجند تحت أمرك ، فاحتكم كيف شئت

قال الغراب إن البوم بمكان كذا فى جبل كثير الحطب و فى ذلك الموضع قطيع (١) من الغنم مع رجل راع ، ونحن مصيبون هناك ناراً ، و نلقيها فى أنقاب البوم ؛ و نقذف عليها من يابس الحطب ، و نتراوح عليها ضربا بأجنحتنا ، حتى تضطرم النار فى الحطب ، فمن خرج منهن احترق و من لم يخرج مات بالدخان موضعه ، ففعل الغربان ذلك فأهلكن البوم قاطبة ؛ و رجعن إلى منازلهن سالمات آمنات

---

(١) الطائفة من الغنم وأشباهه

ثم إن ملك الغربان قال لذلك الغراب كيف صبرت على صحبة البوم ولا صبر للأخيار على صحبة الأشرار ؟ فقال الغراب إن ما قلته : أيها الملك لكذلك ولكن العاقل إذا أتاه الأمر الفظيع العظيم الذى يخاف من عدم تحمله الجائحة على نفسه وقومه لم يجزع من شدة الصبر عليه ، لما يرجو من أن يعقبه صبره حسن العاقبة وكثير الخير ، فلم يجد لذلك ألماً ولم تكره نفسه الخضوع لمن هو دونه حتى يبلغ حاجته فيغتبط بخاتمة أمره ، وعاقبة صبره ، فقال الملك أخبرنى عن عقول البوم ، قال الغراب لم أجد فيهن عاقلا إلا الذى كان يحثهن على قتلى ، وكان حرضهن على ذلك مرارا ، فكن أضعف شئ رأيا ؛ فلم ينظرن فى أمرى ، ويذكرن أنى قد كنت ذا منزلة فى الغربان ، وأنى أعد من ذوى الرأى ؛ ولم يتخوفن مكرى وحيلتى ؛ ولا قبلن من الناصح الشفيق ، ولا أخفين دونى أسرارهن : وقد قال العلماء ينبغى للملك أن يحصن أموره من أهل النميمة ولا يطلع أحدا منهم على مواضع سره ، فقال الملك ما أهلك البوم فى نفسى إلا البغى ، وضعف رأى الملك ، وموافقته وزراء السوء ، فقال الغراب صدقت أيها الملك إنه قلما ظفر أحد بغنى ولم يطغ وقل من أكثر من الطعام إلا مرض ، وقل من وثق بوزراء السوء وسلم من أن يقع فى المهالك ، وكان يقال لا يطمعن ذو الكبر فى حسن الثناء ، ولا الخب فى كثرة الصديق ، ولا السيئ الأدب ، فى الشرف ولا الشحيح فى البر ، ولا الحريص فى قلة الذنوب ، ولا الملك المحتال

المتهاون بالامور ؛ الضعيف الوزراء فى ثبات ملكه ، و صلاح رعيته ، قال الملك : لقد احتملت مشقة شديدة فى تصنعك للبوم ؛ و تضرعك لهن . قال الغراب إنه من احتمل مشقة يرجو نفعها ، و نحى عن نفسه الأنفة و الحمية ؛ و وطنها على الصبر حمد غب رأيه ، كما صبر الأسود على حمل ملك الضفادع على ظهره وشبع بذلك وعاش ، قال الملك : وكيف كان ذلك ؟

قال الغراب زعموا أن أسود من الحيات كبر ، و ضعف بصره ، و ذهبت قوته ، فلم يستطع صيدا ، ولم يقدر على طعام ، و إنه انساب يلتمس شيئا يعيش به ، حتى انتهى إلى عين كثيرة الضفادع ، قد كان يأتيها قبل ذلك : فيصيب من ضفادعها رزقه فرمى نفسه قريبا منهن مظهراً للكآبة و الحزن . فقال له ضفدع ، مالى أراك ، أيها الأسود كئيبا حزيناً ؟ قال : و من أحرى بطول الحزن مى ، و إنما كان أكثر معيشتى مما كنت أصيب من الضفادع فابتليت ببلاء ، و حرمت على الضفادع من أجله ، حتى إنى إذا التقيت ببعضها لا أقدر على إمساكه فانطلق الضفدع إلى ملك الضفادع ؛ فبشره بما سمع من الأسود ؛ فأتى ملك الضفادع إلى الأسود ؛ فقال له كيف كان أمرك ؟ قال سعيت منذ أيام فى طلب ضفدع ، و ذلك عند المساء فاضطررته إلى بيت ناسك ؛ و دخلت فى أثره فى الظلمة و فى البيت ابن للناسك فأصبت إصبعه فظننت أنها الضفدع ، فلدغته فمات ، فخرجت هاربا ؛ فتبعنى الناسك فى أثرى ؛ ودعا على ، ولعننى ، و قال : كما قتلت ابنى البرئ ظلما و تعديا

أدعو عليك أن تذل و تصير مركبا لملك الضفادع ، فلا تستطيع أخذها ، ولا أكل شئ منها إلا ما يتصدق به عليك ملكها . فأتيت إليك لتركبنى ، مقرا بذلك راضيا به ؛ فرغب ملك الضفادع فى ركوب الأسود ؛ وظن أن ذلك فخر له و شرف ، و رفعة ؛ فركبه واستطاب ذلك ؛ فقال له الأسود ؛ قد علمت أيها الملك أنى محروم ، فاجعل لى رزقا أعيش به ، قال ملك الضفادع لعمرى لابد لك من رزق يقوم بك إذ كنت مركبى فأمر له بضفدعين يؤخذان فى كل يوم ؛ و يدفعان إليه ، فعاش بذلك و لم يضره خضوعه للعدو الذليل ؛ بل انتفع بذلك ، و صار له رزقا و معيشة ، و كذلك كان صبرى على ما صبرت عليه ؛ التماساً لهذا النفع العظيم الذى اجتمع لنا فيه الأمن و الظفر و هلاك العدو والراحة منه ، و وجدت صرعة اللين و الرفق أسرع و أشد استئصالا للعدو من صرعة المكابرة ؛ فان النار لا تزيد بحدتها و حرها اذا أصابت الشجرة على أن تحرق ما فوق الأرض منها والماء ببرده و لينه يستأصل ما تحت الأرض منها و يقال أربعة أشياء لا يستقل قليلها : النار و المرض والعدو والدين ، قال الغراب : و كل ذلك كان من رأى الملك و أدبه و سعادة جده ؛ و إنه كان يقال إذا طلب إثنان أمراً ظفر به منهما أفضلهما مروءة ؛ فان اعتدلا فى المروءة فأشدهما عزما ، فان استويا فى العزم ، فأسعدهما جدا ؛ و كان يقال : من حارب الملك الحازم الأريب المتضرع الذى لا تبطره السراء ، و لا تدهشه الضراء ؛ كان هو داعى الحتف إلى نفسه ، ثم لا سيما إذا كان

مثلك ، أيها الملك العالم بفروض الأعمال ، و مواضع الشدة و اللين ، و الغضب و الرضا ، و المعاجلة و الأناة : الناظر فى أمر يومه و غده و عواقب أعماله قال الملك للغراب بل برأيك و عقلك و نصيحتك و يمن طالعك كان ذلك ، فان رأى الرجل الواحد ، العاقل الحازم أبلغ فى هلاك العدو من الجنود الكثيرة ؛ من ذوى البأس و النجدة و العدد و العدة و إن من عجيب أمرك عندى طول لبثك بين ظهرانى البوم تسمع الكلام الغليظ ؛ ثم لم تسقط بينهن بكلمة قال الغراب : لم أزل متمسكا بأدبك ، أيها الملك أصحب البعيد و القريب بالرفق و اللين ؛ و المبالغة والمؤاتاة . قال الملك أصبحت و قد وجدتك صاحب العمل و وجدت غيرك من الوزراء أصحاب أقاويل ؛ ليس لها عاقبة حميدة فقد من الله علينا بك منة عظيمة لم نكن قبلها نجد لذة الطعام و لا الشراب و لا النوم و لا القرار ؛ و كان يقال : لا يجد المريض لذة الطعام و النوم حتى يبرأ ؛ و لا الرجل الشره الذى قد أطمعه سلطانه فى مال و عمل فى يده حتى ينجزه له ؛ ولا الرجل الذى قد ألح عليه عدوه و هو يخافه صباحا و مساء حتى يستريح منه قلبه ، و من وضع الحمل الثقيل عن يديه أراح نفسه ، و من أمن عدوه ثلج صدره

(كليلة و دمنة ، باب البوم و الغربان)

بين يدى الموت

ومن وجد نفسه عند إحاطة الموت به تميم بن جميل فانه القائل بين يدى المعتصم وقد قدم السيف والنطع لقتله :

أرى الموت بين السيف و النطع كامنا
يلاحظنى من حيث ما أنا أتلغت

و أكبر ظنى أنك اليوم قاتلى
و أى أمرئ مما قضى الله يفلت

وأى أمرئ يدلى بعذر و حجة
و سيف المنايا بين عينيه مصلت

و ما حزنى أنى أموت و إنى
لأعلم أن الموت شئ موقت

ولكن خلفى صبية قد تركتهم
وأكبادهم من حسرة تتفتت

كأنى أراهم حين أنعى إليهم
و قد خمشوا تلك الوجوه و صوتوا

فان عشت عاشوا خافضين بنعمة
أذود الردى (١) عنهم وإن مت موتوا

---

(١) الهلاك

فكم قائل لا أبعد الله داره
وآخر جذلان يسر و يشمت

فعفا عنه المعتصم و أحسن إليه و قلده عملا .

(العقد الفريد)

خطبة سيدنا أبى بكر (رض)

الحمد لله رب العالمين ، أحمده و أستعينه ، و نسأله الكرامة فيما بعد الموت فانه قد دنا أجلى و أجلكم و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أن محمدا عبده و رسوله بأرسله بالحق بشيرا و نذيرا و سراجا منيرا ، ليتنذر من كان حيا و يحق القول على الكافرين ، و من يطع الله و رسوله فقد رشد ؛ و من يعصهما فقد ضل ضلالا مبينا ؛ أوصيكم بتقوى الله ، و الاعتصام بأمر الله الذى شرع لكم و هداكم به ، فان جوامع هدى الاسلام بعد كلمة الاخلاص السمع و الطاعة لمن ولاه الله أمركم ، فانه من يطع الله و أولى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فقد أفلح وأدى الذى عليه من الحق ، و إياكم و اتباع الهوى ؛ فقد أفلح من حفظ من الهوى و الطمع و الغضب ، و إياكم و الفخر ، و ما فخر من خلق من تراب ؛ ثم إلى التراب يعود ؛ ثم يأكله الدود ، ثم هو

اليوم حي و غدا ميت ؟ فان يوما بيوم ، و ساعة بساعة
و توقوا دعاء المظلوم و عدوا أنفسكم فى الموتى ؛ واصبروا فان
العمل كله بالصبر ؛ و احذروا و الحذر ينفع ؛ و اعملوا و العمل
يقبل و احذروا ما حذركم الله من عذابه و سارعوا فيما وعدكم
الله من رحمته ، و افهموا و تفهموا ، و اتقوا و توقوا ، فان الله قد
بين لكم ما أهلك به من كان قبلكم و ما نجى به من نجى قبلكم . قد
بين لكم فى كتابه حلاله و حرامه و ما يحب من الاعمال وما يكره
فانى لا آلوكم ونفسى ؛ و الله المستعان ، و لا حول و لا قوة إلا بالله ،
و اعلموا أنكم ما أخلصتم لله من أعمالكم ، فربكم أطعتم ؛ و حظكم
حفظتم ؛ و اغتبطتم و تطوعتم به لدينكم فاجعلوه نوافل بين أيديكم
تستوفوا لسلفكم ؛ و تعطوا جرايتكم حين فقركم و حاجتكم إليها ثم
تفكروا عباد الله فى إخوانكم و صحابتكم الذين مضوا ؛ قد وردوا على
ما قدموا فأقاموا عليه ، و حلوا فى الشقاء و السعادة فيما بعد الموت .
إن الله ليس له شريك و ليس بينه و بين أحد من خلقه نسب
يعطيه به خيرا ، و لا يصرف عنه سوءا ، إلا بطاعته و اتباع أمره .
فانه لا خير فى خير بعده النار ، و لا شر فى شر بعده الجنة
أقول قولى هذا و أستغفر الله لى و لكم ؛ صلوا على نبيكم ﷺ
والسلام عليكم و رحمة الله و بركاته .

(المحاسن و المساوئ للبيهقى)

الامام الشافعى (رح)

الامام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبيد بن يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشى المطلبى الشافعى يجتمع مع رسول الله ﷺ فى عبد مناف المذكور و باقى النسب إلى عدنان معروف، لقى جده شافع رسول الله ﷺ وهو مترعرع. وكان أبوه السائب صاحب راية بنى هاشم يوم بدر فأسر وفدى نفسه ثم أسلم، فقيل له لم لم تسلم قبل أن تفدى نفسك؛ فقال ما كنت أحرم المؤمنين مطمعا لهم فى؛ وكان الشافعى كثير المناقب جم المفاخر منقطع القرين: اجتمعت فيه من العلوم بكتاب الله و سنة الرسول ﷺ وكلام الصحابة رضى الله عنهم و آثارهم و اختلاف أقاويل العلماء وغير ذلك من معرفة كلام الله و اللغة العربية و الشعر، حتى إن الأصمعى مع جلالة قدره فى هذا الشأن قرأ عليه أشعار الهذليين ما لم يجتمع فى غيره، حتى قال أحمد بن حنبل ما عرفت ناسخ الحديث من منسوخه حتى جالست الشافعى، و قال أبو عبيد القاسم ابن سلام: ما رأيت رجلا قط أكمل من الشافعى، و قال أحمد بن حنبل قلت لأبى: أى رجل كان الشافعى فانى سمعتك تكثر من الدعاء له؟ فقال يا بنى كان الشافعى كالشمس للدنيا وكالعافية

للبدن ، هل لهذين من خلف أو عنهما من عوض ، و قال أحمد ما بت منذ ثلاثين سنة إلا و أنا أدعو للشافعي و أستغفر له و قال يحيى بن معين كان أحمد بن حنبل ينهانا عن الشافعي ثم استقبلته يوما و الشافعي راكب بغلة و هو يمشي خلفه فقلت : يا أبا عبد الله تنهانا عنه وتمشي خلفه ؛ فقال . اسكت لولزمت البغلة لا تنفعت ، وحكى الخطيب في تاريخ بغداد عن ابن عبد الحكم قال لما حملت أم الشافعي به رأت كأن المشترى خرج من فرجها حتى انقض بمصر ثم وقع في كل بلد منه شظية (١) فتأول اصحاب الرؤيا أنه يخرج منها عالم يخص علمه أهل مصر ثم يتفرق في سائر البلدان و قال الشافعي قدمت على مالك بن أنس و قد حفظت المؤطا ، فقال لي أحضر من يقرأ لك . فقلت أنا قارئ فقرأت عليه المؤطا حفظا ، فقال إن يك أحد يفلح فهذا الغلام .وكان سفيان ابن عيينة إذا جاءه شئ من التفسير أو الفتيا التفت إلى الشافعي فقال سلوا هذا الغلام ، وقال الحميدي سمعت الزنجي بن خالد يعني مسلما يقول للشافعي افت يا أبا عبد الله فقد و الله آن لك أن تفتي و هو ابن خمس عشرة سنة ؛ و قال محفوظ بن أبي توبة البغدادي : رأيت أحمد بن حنبل عند الشافعي في المسجد الحرام فقلت يا أبا عبد الله هذا سفيان بن عيينة في ناحية المسجد يحدث فقال إن هذا يفوت و ذاك لا يفوت ، و قال أبو حسان الريادي ؛ ما رأيت محمد بن الحسن يعظم أحدا من أهل العلم تعظيمه للشافعي ، و لقدجاءه يوما فلقيه و قد ركب محمد

(١) القوس

بن الحسن فرجع محمد إلى منزله و خلا به يومه إلى الليل ولم
يأذن لأحد عليه و الشافعي أول من تكلم فى أصول الفقه وهو
الذي استنبطه ، و قال أبو ثور : من زعم أنه رأي مثل محمد بن إدريس
فى علمه و فصاحته و معرفته و ثباته و تمكنه فقد كذب ؛ كان
منقطع القرين فى حياته فلما مضى لسبيله لم يعتض منه (١) و قال
أحمد بن حنبل ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق إلا وللشافعي فى
رقبته منة وكان الزعفراني يقول كان أصحاب الحديث رقودا حتى
جاء الشافعي فتيقظوا ، ومن دعائه : اللهم يا لطيف أسألك اللطف فيما
جرت به المقادير ، و هو مشهور بين العلماء بالاجابة و إنه مجرب ؛
و فضائله أكثر من أن تعد ، و مولده سنة خمسين و مأية ؛ و قد قيل
إنه ولد فى اليوم الذي توفى فيه الإمام أبو حنيفة . وكانت ولادته
بمدينة غزة و قيل بعسقلان و قيل باليمن و الأول أصح ، و حمل من
غزة إلى مكة و هو ابن سنتين فنشأ بها و قرأ القرآن الكريم ؛ وحديث
رحلته إلى مالك مشهور فلا حاجة إلى التطويل فيه ؛ و قدم بغداد
سنة ثمان و تسعين و مأية فأقام بها سنتين ثم خرج إلى مكة ثم عاد
إلى بغداد سنة ثمان و تسعين و مأية فأقام بها شهورا ثم خرج إلى
مصر و كان وصوله إليها فى سنة تسع و تسعين و مأية و قيل
إحدى و مأيتين و لم يزل بها إلى أن توفى يوم الجمعة آخر يوم من
رجب سنة أربع و مأيتين ، و دفن بعد العصر من يومه بالقرافة
الصغرى (٢) و قبره يزار بها بالقرب من المقطم (٣) قال الربيع

---

(١) لم يحصل بدل منه (٢) مقبرة كانت فى القاهرة (٣) جبل فى القاهرة

بن سليمان المرادي رأيت هلال شعبان و أنا راجع من جنازته و قال رأيت في المنام بعد وفاته فقلت يا أبا عبد الله ما صنع الله بك ؟ فقال أجلسني على كرسى من ذهب ونثر على اللؤلؤ الرطب .

و ذكر الشيخ أبو إسحق الشيرازى فى كتاب طبقات الفقهاء ما مثاله . و حكى الزعفرانى عن أبى عثمان بن الشافعي قال مات أبى و هو ابن ثمان وخمسين سنة . و قد اتفق العلماء قاطبة من أهل الحديث والفقه و الأصول و اللغة و النحو و غير ذلك على ثقته و أمانته و عدالته و زهده و ورعه و نزاهة عرضه و عفة نفسه و حسن سيرته و علو قدره و سخائه

(تاريخ ابن خلكان الجزء الثانى)

على زين العابدين

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته و البيت يعرفه و الحل و الحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم هـذا التقى النقى الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها إلى مكارم هـذا ينتهى الكرم
ينمى إلى ذروة العز التى قصرت عن نيلها عرب الاسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

في كفه خيزران (١) ريحه عبق (٢) من كف أروع في عرنينه شمم
يغضى حياءاً و يغضى من مهابته فلا يكلم إلا حين يبتسم
ينشق نور الهدى عن نور غرته كالشمس تنجاب عن إشراقها الظلم
منشقة من رسول الله نبعته (٣) طابت عناصره و الخيم و الشيم
فليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من أنكرت والعجم
سهل الخليقة لا تخشى بوادره يزينه اثنان حسن الخلق والشيم
ما قال « لا » قط إلا في تشهده
لولا التشهد كانت. لاؤه نعم

(الفرزدق)

الشيخ أحمد السرهندى

شيخ الاسلام و المسلمين أحمد بن عبد الأحد بن زين العابدين رضى الله عنه ولد بسرهند فى شوال سنة إحدى و سبعين و تسع مائة ، و أخذ أكثر العلوم و الطريقة الچشتية عن أبيه و استفاد بعض العلوم العقلية عن الشيخ كمال الدين الكشميرى و أسند الحديث عن الشيخ يعقوب بن الحسن الصرفى الكشميرى الذى أخذ عن الشيخ شهاب الدين بن حجر الهيتمى المكى ثم تناول الحديث

(١) نجرلين تصنع منه العصى الدقيقة ، (٢) فائح (٣) اصله

المسلسل بالأولية عن القاضى بهلول البدخشى عن الشيخ عبد الرحمن
فهد عن أبيه الشيخ عبد القادر و عمه شيخ جار الله عن أبيهما
الحافظ عزالدين عبد العزيز عن جده الحافظ الرحلة تقى الدين محمد
بن فهد العلوى الهاشمى و الحافظ الحجة شهاب الدين أحمد بن
حجر العسقلانى ؛ و للشيخ أحمد إجازة برواية الكتب الحديثية وغيرها
عن القاضى ، المذكور و لما فرغ من تحصيل ما تيسر له من العلوم
الظاهرة وكان إذ ذاك ابن سبع عشرة سنة اشتغل بالتدريس
والتصنيف، وبما صنفه فى تلك الأيام رسالة فى إثبات النبوة وأخرى
فى الرد على الشيعة الامامية ؛ و غير ذلك مما أثنى عليه العلماء ؛ و ألبسه
أبوه خرقه الخلافة : فلما توفى أبوه عام سبعة و ألف ارتحل إلى دهلى
يريد الحج فقاد قائد توفيق من الله عز و جل إلى الشيخ الأجل
رضى الدين عبد الباقى النقشبندى رضى الله عنه فأخذ عنه الطريقة
النقشبندية ؛ و اشتغل بها و تدرج فى أيام معدودات إلى أوج القطبية
و الفردية ثم إلى ماشاء الله تعالى حتى بشره الشيخ بحصول رتبة
التكميل و الترقى الى مدارج القرب و النهاية ؛ ثم أجاز له بارشاد
الطالبين و ألبسه خرقة الخلافة ؛ و لم يزل يكرمه و يجله و يفتخر
به و يثنى عليه بما لا يبلغ وصفه ،

فرجع إلى سرهند و جلس على مسند الارشاد و أخذ فى
الدرس و الافاده وكان يدرس فى علوم شتى من الفقه والأصول
و الكلام و التفسير و الحديث و التصوف ، و ربما يشتغل بالهداية
و البزدوى و شرح المواقف و البيضاوى و المشكاة و البخارى

و العوارف و له مكتوبات فى ثلاثة مجلدات وهو الحجج القواطع على تبحره فى العلوم الشرعية . وفيها ما لا يتبادر إلى الأذهان لمن ليس لهم درك فى مقامات العرفان فشدوا النطاق فى خصامه وسعوا إلى جهانگير بن أكبر سلطان الهند مفتخر باحضار الشيخ و وصفى بجوابه فعرضوا عليه أن الشيخ ما سجد للسلطان تكبرا ، مع أنه ظل الله وخليفته و لم يتواضع تواضعا جاريا ، فغضب عليه السلطان و حبسه فى قلعة گواليار وكان شاهجهان ولد جهانگير مخلصا للشيخ فأرسل إليه أفضل خان و المفتى عبد الرحمن من رجاله مع بعض كتب الفقه قبل أن يحضر عند السلطان و قال إن سجدة التحية تجوز للسلاطين فان تسجدوا للسلطان عند اللقاء فأنا ضامن من أن لا يصل إليكم ضرر منه ؛ فلم يقبل الشيخ و قال هذه رخصة و العزيمة أن لا يسجد لغير الله سبحانه ؛ فلبث فى السجن ثلاث سنين و حفظ القرآن فى تلك الحالة ، ثم أخرجه السلطان من السجن بشرط أن يقيم فى عسكره . و يدور معه فأقام فى معسكره ثماني سنوات ، و بعد وفاة السلطان رخصه ولده شاهجهان المذكور فعاد إلى سرهند و صرف عمره بالدرس و الافادة ،

قال الشيخ محسن بن يحى البكرى التيمى فى اليانع الجنى ولقد بلغه الله سبحانه من الولاية منزلة لا يرام فوقها ، و هدى به ثم بأصحابه من بعده خلقا لا يحصيهم إلا من أحصى رمل عالج (١) عددا فلا ترى ناحية من نواحى المسلمين فى بلاد الهند و خراسان وما

(١) ناحية من الربع الخالى

وراء النهر من بلاد الترك و التتر إلى أقصى ثغر بالمشرق ثم أرض العراق و الجزيرة و بلاد الحجاز و الشام و قسطنطينية و ما والاها إلا قد نمى فيها طريقته، و جرى على ألسنة أهلها ذكره، إليه ينتمون و به يتبركون بل دخلت طريقته إلى اقصى المغرب مثل فاس و غيرها ؛ يعرف ذلك بمراجعة المنح البادية لمحمد بن عبد الرحمن الفارسي و غير ذلك، و فى هذا حجة واضحة على جليل شأنه عند الله و رفيع مكانه فى أولياء الله ؛ حيث أشاع طريقته فى مشارق أرضه ومغاربها، و عم هذه الأمة برغائب فيوضه و غرائبها ؛ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم

و من مصنفاته المشهورة الأسفار الثلاثة، من مكاتيبه بحر من العلم و الحقائق و كنز من الرموز و الدقائق و رسائل مفردة كالمبدأ و المعاد و المعارف اللدنية و المكاشفات الغيبية و غير ذلك، و له رضى الله عنه فى بيان العقائد على مذهب الماتريدية و لتهذيب طريقة الصوفية النقشبندية لسان أى لسان ومن أياديه (١) على رقاب كثير من الناس أنه أوضح الفرق بين وحدة الوجود و بين وحدة الشهود ؛ وبين أن وحدة الوجود شئ يعترى السالك فى أثناء السلوك فمن ترقى مقاما أعلى من ذلك يتجلى له حقيقة وحدة الشهود ؛ فسد بذلك طريق الالحاد على كثير ممن كان يتستر بزى الصوفية ويتأول كلامهم على أهوائه الزائفة، و منها أنه باحثه الملاحدة الذين كانوا فى زمانه و جادلهم جدالا حسنا بقلبه و لسانه ؛ و كذلك رد على

---

(١) جمع يد المراد بها النعمة

الروافض و نقض بدعاتهم ؛ و رد على الضعفاء مكائدهم فحمى بذلك حمى الدين ، و حرست به بيضة المسلمين ، و منها أنه حقق الفرق بين البدعة و السنة و أقيسة المجتهدين و استحسانات المتأخرين ؛ و التعارف عن القرون المشهود لها بالخير و ما أحدثه الناس فى القرون المتأخرة و تعارفوه فيما بينهم ، فرد بذلك مسائل استحسنها المتأخرون من فقهاء مذهبه ، و منها أنه كان يأمر بما يراه معروفا و ينهى عن ضده و لا يخشى فى الله لومة لائم و لا يخاف من ذى سطوة فى سلطانه فكان ينكر على الأمراء و يرشدهم إلى مراشد دينهم و ينفرهم من صحبة الروافض و من شاكلهم من أعداء الدين ؛ و يبذل لهم نصحه فنفع الله كثيرا منهم بذلك ؛ و صلحت بصلاحهم الرعية فسد الله ثلمة(١) ظاهر الدين كما رقع به خرق باطنه : فهذب به و بأصحابه فى البلدان النائية من وفق لسبيل القوم ، و ذلك لأنه كان فقيها ما تريديا زكى النفس حريصا على اتباع السنن مجتهداً فيه شديد النصح لأبناء زمانه ، فجاءت لذلك و الله أعلم طريقه و علومه و شمائله محمودة عند المحققين و أهل الانصاف ؛ و رغب فيها الناس و قل ما تعقب به ورد من قوله ، وقد شهد بما ذكرت من فضائله أو بما يقرب وأجاب عن شبهات المتقشفة ، وذب عنه الشيخ ولى الله بن عبد الرحيم العمرى الدهلوى و أنعم الثناء عليه فلم يترك فيه مجالا لعائب و لا مقالا لرائب . وكفاك به إماما يشهد لامام ؛ والقول ماقلت حذام (٢)

(نزهة الخواطر الجزء الرابع)

---

(١) خلل وانكسا (٢) اسم امرأة فى الجاهلية يضرب بها المثل فى بعد النظر

الربانيون

وقع إلى كتاب فى أردو اسمه « إرشاد رحمانى » من تأليف العالم الربانى الشيخ محمد على المونگيرى مؤسس « ندوة العلماء » ذكر فيه فى اسلوب طبعى مؤثر مقابلاته مع بعض كبار المخلصين و العلماء الربانيين فى عصره . وخص بالذكر شيخه مولانا فضل رحمن الگنج مرادآبادى عليه رحمة الله وكيف تعرف به ؛ وكيف كانت زيارته الأولى فى كانپور ؛ وكان يومئذ طالبا يدرس الفلسفة والمنطق شأن طلبة العلم فى عصره ؛ وكان قابله الشيخ كأنه كان منه على ميعاد ، و قال « هذا ولدى » و سأله عن الكتب التى يقرأها ، و لما ذكر كتب الفلسفة و المنطق امتعض الشيخ و قال نفرض أنك قرأت هذه الكتب وبرعت فى هذه العلوم « اليونانية » فماذا بعد ؟ وأى فائدة تجنيها ؟ امش معى إلى قبر رجل لم يعرف من هذه العلوم قليلا ولا كثيرا و لكن عرف الله ، وكان له معه شأن ثم امش معى إلى قبر فلان من أئمة المنطق و من كبار المؤلفين فى هذا الموضوع تر عجبا وتر فرقا واضحا ، و ذكر كيف تملكه حب الشيخ ؛ وكيف كانت له معه محادثات و مقابلات حتى استأثر به الشيخ ، وكان من أخص أصحابه ، و ذكر سيرته و تجرده من أسباب الدنيا و إقباله إلى الله بقلبه و قالبه و اطراحه على عتبة عبوديته ، و شدته فى اتباع

الشيخ و التمسك بما ثبت منها وصح فى الأذكار و الأدعية و الأفعال و الأحوال . كنت أقرأ ذلك و يسيغه عقلى الصغير و يلتذ به شعورى ، و أعجبى بصفة خاصة أبيات كان ينشدها الشيخ ، تدل على أنه كان صاحب عاطفة قوية ؛ و يغلى فى قلبه مرجل الحب و الحنان فيتسلى بهذه الأبيات التى ينشدها فى بساطة و كأنه يعتذر إلى من يعد ذلك نكرا و يقول

سقونى و قالوا لا تغن و لو سقوا
جبال سليمى ما سقيت لغنت

و قريبا من تلك الأيام صادفت و رقات مطبوعة لوالدي السيد عبد الحى رحمه الله سماها « إستفادة » قص فيها قصة رحلته إلى الشيخ فضل رحمن عليه رحمة الله . كان يومئذ طالبا فى لكهنؤ بلغته و فاة الشيخ فتأسف على ذلك أسفا شديدا ثم بلغه نفى هذه الشائعة و أن الشيخ لا يزال حيا فشد الرحل إلى گنج مرادآباد و قطع مسافة طويلة لم يقطعها فى عمره من قبل راجلا و هو لا يشعر بالكلال والتعب فى شدة الشوق ؛ و وصل إليه و هو مضطجع و عنده أصحابه فسأله عن وطنه فلما ذكر والدى رحمه الله أنه من رائ بريلى من زاوية العارف بالله الشيخ علم الله الحسنى حول الشيخ جنبه و قال : « لقد كان علما » ثم سأله عن الكتب التى يقرأها ؛ فلما ذكر هداية الفقه و أمثالها ، قال : إن الغاية من التعلم هو العمل و قد كان المخلصون يتعلمون ليعملوا . كان الشيخ العارف محمد منا اللكهنوى يقرأ شرح الوقاية فلما انتهى من كتاب الصلاة أطبق

الكتاب ، فسأله أستاذه عن السبب ؛ قال إن الغرض من التعلم هو العمل ؛ وقد فرض الله على الصلاة فتعلمت أحكامها ، فاذا فرض على الزكاة و ملكت النصاب قرأت أحكامها كذلك : أما الآن فلا أتشاغل بتعلم ما لا أستطيع العمل به ،

يقول والدى رحمه الله : لا أذكر أنى وجدت فى قيام الليل لذة وجدتها فى تلك الليلة ، وأخذ الشيخ بيدى من غير طلب منى ولقننى كلمات التوبة وحثنى على قراءة «الحصن الحصين» مجموعة الأدعية والأذكار المأثورة للجزرى وقال أعرف مآت من الناس أكرمهم الله بالولاية بقراءة هذا الكتاب والتزام الأدعية المأثورة ، وهنالك تملكته العاطفة وأنشأ ينشد الأبيات الرقيقة الرائقة بالفارسية والأردوية والهندية منها بيت فى الأردوية معناه : لا تتعب نفسك يا من يبحث عن القلب فى صدرى إنما هى حفنة من رماد فيها النار كامنة ، وبيت للحكيم السنائى الشاعر الفارسى المعروف معناه ، أعمى الله عين السنائى إذا أراد أن يعيش ويقضى أياما غير متبع سنة الرسول ، وبيت بالهندية — لغة الهند القروية — إن عينا خلا فيها المحبوب وقع منها كل موقع لم تبصر الجمال فى غيره .

وكان من عادة الشيخ رحمه الله أنه كان يقرئ الجامع الصحيح للبخارى كل يوم ، وكان له شغف زائد بالحديث وغرام لا يكاد يعدل به بعد القرآن شيئا ، وكان إذا قرأ الدرس ترنحت أعطافه وفاض خاطره ، وكان كبير الاعجاب بالجامع الصحيح بصفة

خاصة ؛ وكان يقرأ الدرس كل يوم مرة أو مرتين ؛ وكان والدى سعيدا جدا إذ قرأ الشيخ الدرس ثلاث مرات ، وبقى يلتذ بهذا الدرس طول حياته وبذكره بلذة غريبة وسرور عظيم . ويقول لا أستطيع أن أصف هذا الدرس وحلاوته وتأثيره فى القلب ؛ فليس الخبر كالمعاينة ، وسمع منه الوالد الحديث المسلسل بالأولية وهو قوله ﷺ . الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء ؛ والمسلسل بالمحبة وهو الحديث المشهور . يا معاذ إنى أحبك فقل اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، وقال الشيخ سمعته أذنانى من شيخنا عبد العزيز بن ولى الله الدهلوى ؛ وأنا أجيزك بروايته ؛

وقرأت بعد ذلك مقالة للسرى الفاضل المؤلف البارع الشيخ حبيب الرحمن الشروانى رحمه الله وزير الأمور الدينية فى إمارة حيدرآباد ، وصف فيها رحلته واجتماعه بالشيخ الكبير وارتسامات هذه الزيارة ، فذكر أنه سبقه إلى زيارة الشيخ بيوم واحد كبير أمراء حيدر آباد من أعظم الأغنياء والوجهاء فى عصره « نواب خورشيد جاه بهادر » وكانت زيارته الملوكية وما أنفق فى طريقه إلى « گنج مراد آباد » مقر الشيخ من نفقات عظيمة حديث المجالس والنوادى ، وكل من صادفه فى الطريق حدثه عن هذه الرحلة العظيمة وعن هذه الأريحية الكبيرة وعن غنى الزائر العظيم وعن ركبه وخيامه وحشمه ؛ ولكنه لما وصل إلى « گنج مرادآباد لم يسمع له ذكرا ، وكأن هذا الأمير الذى دوت له الأرجاء وصفق

له الجمهور و تحدثت به المجالس لم يزر هـذه القرية الصغيرة و لم يسترع اهتمام أحد ، لم يسمع فى هذه القرية خيراً عن ذى جاه كبير و مال وفير ، إنما هو حديث عن الله والرسول ، كأن هذه القرية لا شأن لها بالعالم و لا صلة لها بالخارج إنما هى جزيرة منقطعة يسود فيها السلطان الدينى و يحكم فيها عبد من عباد الله المخلصين تحرر من سلطان المادة فدانت له الدنيا ، و أعرض عن الدنيا فأتتـه راغمة : قال و لم أرنفسى أصغر فى عينى منها ذلك اليوم ،

و سمعت الشيخ حبيب الرحمن يتحدث كثيرا عن شيخه و يحكى حكايات فى زهده و كبر نفسه و إخلاصه ؛ و استخفافه بأهل الدنيا و أصحاب الوجاهة و الأموال ؛ و قرأت لغيره كالشيخ تجمل حسين البهارى و السيد نور الحسن ابن المؤلف الشهير السيد صديق حسن خان صاحب بهوپال كتبا و رسائل و أكثر أعضاء الندوة من تلامذة الشيخ و مريديه ؛ فأمكننى أن أعرف الشيئ الكثير من سيرته و أخباره وكان كله معجبا مطربا يملأ القلب بالايمان ويحقر المادة و عبادها . و يعظم الدين و أهله ؛ فمن ذلك أن حاكم الولاية الانجليزى قصد زيارته مرة و شاع ذلك فى الناس و وصل الخبر إلى گنج مراد آباد فأهم الناس و شغل خاطرهم ، و ذلك لأن الانجليز كانت لهم صولة فى البلاد . بعد عام ١٨٥٧ م لا تقـدر الآن ؛ و لا يستطيع هـذا الجيل الذى نشأ بعد حركة التحرير أن يفهمها و يعرف خطرها وكانت زيارة حاكم كبير يحكم على ولاية من كبرى الولايات الهندية — هى الولايات المتحده آگره

و أوده — حادثة ذات شأن . و اهتم الناس با ستقباله و قد عرفوا أن الانجليز لا يجلسون إلا على الكراسى و زاوية الشيخ فقيرة ليس فيها كرسى و مقاعد حديثة : و عرف الشيخ اهتمام الناس و استخف با هتمامهم بهذا الأمر التافه الذى لا ينبغى أن يشغل قلب المؤمن ، فتساءل ما يهمكم يا جماعة ؟ قالوا حاكم الولاية يزور الشيخ و ليس ههنا مقعد لائق به !

وكأ ن الشيخ أراد أن يلقى عليهم درسا فى الايمان و يريهم منزلة أرباب الدنيا فى عين أهل الدين ؛ فقال : و يحكم أليست هناجرة نشرب منها ؟ قالوا بلى . قال فنقلبها يجلس عليها ، و سكت الناس . وجاء الحاكم فلم يكن من الشيخ إلا أن أشار إليه با لجلوس ولكنه بقى واقفا و حادثه الشيخ كما يحادث من لا شأن له من الناس و لا خطر : و انتقد حكومته و قال قد فشت الرشوة فى حكمكم فشوا كبيرا ؛ و الحاكم منصت خاشع ، و قرينته جالسة تسمع ؛ و قال إن فيكم و قاحه و قلة حياء يشير إلى سفور المرأة . ثم انصرفا و انصرف الناس إلى أشغالهم و عادت القرية إلى هدوئها . و حكى لى الشيخ حبيب الرحمن أنه أهدى إليه يوما فى المساء خمس مأية روبية و هو مقدار كبير من المال فى عصر الشيخ فقد توفى فى فجر هذا القرن — فقال على بالحمالين و العملة فقد أشرف جدارى على التهدم ، و جاء الفقراء و أهل الحاجة و هم يعرفون عادة الشيخ فاشتغلوا با لجدار ؛ و ما عليه بأس . إنما هى حيلة الشيخ لتوزيع المال على ذوى الحاجة و الخصاصة المتعففين

الذين لا يسألون الناس و لا يفطن لهم الناس ثم وزع عليهم المال كله و رجعوا إلى بيوتهم و عرض له بعض أصحابه و قال إنا لم نر بجدار الشيخ بأساً فما الداعي إلى هذه العجلة ؟ فقال كيف لو سقط الجدار و تهدم البيت ؟ و عرف الرجل أنه حرص الشيخ على أن لا يبيت عنده درهم أو دينار . و إنما هو اتباع النبي ﷺ

أبو الحسن على الندوى فى مجلة
البعث الاسلامى

رثاء الرسول عليه الصلاة و السلام

(لسيدنا حسان بن ثابت رضى الله عنه)

ما لعينى لاتنام كأنما ... كحلت مآقيها بكحل الأرمد
جزعا على المهدى أصبح ثاويا ... يا خير من وطئ الحصا لاتبعد
جنبى يقيك الترب لهفى ليتنى ... غيبت قبلك فى بقيع الغرقد
أ أقيم بعد بالمدينة بينهم ... يا لهف نفسى ليتنى لم أولد
بأبى و أمى من شهدت وفاته ... فى يوم الاثنين النبى المهتدى
فظللت بعد وفاته متلددا ... يا ليتنى أسقيت سم الأسود

أوحل أمر الله فينا عاجلا … من يومنا فى روحة أو فى غد

فنقوم ساعتنا فنلقى طيبا … محضا ضرائبه كريم المحتد (١)

يا بكر آمنة المبارك ذكره … ولدتك محصنة سعد الأسعد

نورا أضاء على البرية كلها … من يهد للنور المبارك يهتد

يا رب فاجمعنا معا و نبينا … فى جنة تثنى عيون الحسد

فى جنة الفردوس و اكتبها لنا … يا ذا الجلال و ذا العلا والسؤدد

و الله لا أسمع ما حييت بها لك … إلا بكيت على النبى محمد

ضاقت بالأنصار البلاد فأصبحوا … سودا وجوههم كلون الاثمد (٢)

و لقد و لدناه و فينا قبره … و فضول نعمته بنا لم نجحد

صلى الا له و من يحف بعرشه … و الطيبون على المبارك أحمد

فرحت نصارى يثرب و يهودها
لما توارى فى الضريح الملحد

(ديوان سيدنا حسان



(١) الأصل ، جمعه محاتد (٢) الأثمد ، الكحل

خطاب القرآن

قال ابن القيم تأمل خطاب القرآن تجد ملكا له الملك كله و له الحمد كله ، أزمة الأمور كلها بيــده و مصدرها منه و ردها إليه مستويا على العرش لا يخفى عليه خافية من أقطار مملكته عالما بما فى نفوس عبيده ، مطلعا على أسرارهم و علانيتهم : منفردا بتدبير المملكة يسمع و يرى و يعطى و يمنع و يثبت و يعاقب ؛ و يكرم و يهين ويخلق و يرزق ، و يميت و يقدر و يقضى و يدبر ، الأمور نازلة من عنده ؛ دقيقها و جليلها و صاعــدة إليه لا تتحرك ذرة الا باذنه و لا تسقط ورقة إلا بعلمه ، فتأمل كيف تجده يثنى على نفسه و يمجد نفسه و يحمد نفسه و ينصح عباده ، و يدلهم على ما فيه سعادتهم و فلاحهم و يرغبهم فيه ؛ و يحذرهم مما فيه هلاكهم و يتعرف إليــه بأسمائه ، و صفاته و يتحبب إليهم بنعمه و آلائه ، يذكرهم بنعمه عليهم و يأمرهم بما يستوجبون به تمامها ؛ و يحذرهم من نقمه و يذكرهم بما أعدلهم من الكرامة إن أطاعوه وما أعد لهم من العقوبة إن عصوه ؛ ويخبرهم بصنعه فى أوليائه وأعدائه ، وكيف كانت عاقبة هؤلاء وهؤلاء ، ويثنى على أوليائه بصالح أعمالهم و أحسن أوصافهم و يذم أعــدائه بسيئ أعمالهم و قبيح صفاتهم ؛ و يضرب الأمثال و ينوع الأدلة و البراهين ؛ و يجيب عن شبهة أعدائه أحسن الأجوبة ويصدق

الصادق ويكذب الكاذب ، ويقول الحق ويهدى السبيل ويدعو إلى دار السلام ويذكر أوصافها وحسنها ونعيمها ويحذر من دار البوار ويذكر عذابها وقبحها وآلامها ويذكر عباده فقرهم إليه وشدة حاجتهم إليه من كل وجه وأنهم لاغنى لهم عنه طرفة عين ويذكر غناه عنهم وعن جميع الموجودات و أنه الغنى بنفسه وكل من سواه فقير إليه بنفسه، و أنه لا ينال أحد ذرة من الخير فما فوقها إلا بفضله و رحمته ولا ذرة من الشر فما فوقها إلا بعدله وحكمته و تشهد من خطابه عتابه لأحبابه ألطف عتاب و أنه مع ذلك مقيل عثراتهم و زلاتهم و مقيم أعذارهم و مصلح فسادهم . و الدافع عنهم ، المحامى عنهم و الناصر لهم و الكفيل بمصالحهم و المنجى لهم من كل كرب و الموفى لهم بوعده . و أنه وليهم الذى لا ولى لهم سواه فهو مولاهم الحق و ينصرهم على عدوهم فنعم المولى و نعم النصير . فاذا شهدت القلوب من القرآن ملكا عظيما جواداً رحيما جليلا هذا شأنه فكيف لا تحبه و تنافس فى القربة منه و تنفق أنفاسها فى التودد إليه ؛ و يكون أحب إليها من كل ما سواه ؛ و رضاه آثر عندها من رضى كل من سواه ؛ و كيف لا تلهج بذكره و تصير حبه و الشوق إليه والأنس به و هو غذاؤها و قوتها و دواؤها ، بحيث إن فقدت ذلك فسدت و هلكت ولم ينتفع بحياتها

(تفسير إتقان فى علوم القرآن)

بين الامس و اليوم

و قلت للغلام

— ألا تمشي معي أريك دمشق ؟

— قال أنا أرى دمشق كل يوم ؛ و لا أريد أن أمشي معك ؛ إني لا أمشي مع من هو أكبر مني ؛ و لا أمشي مع من لا أعرف ،

— قلت و لو كان قريبك ؟

— قال : فهل أنت قريبي ؟

— قلت أنا أقرب الناس إليك !

— قال و ما تكون مني ؟

— قلت أنا أنت ؛ فضحك الخبيث و قال

— رحم الله هبنقة (١) أنت أنا فمن أنا ؟

فكدت أقول له . أنت أنا ثم خفت أن يجترئ على بالقول

(١) هبنقة أحد بني قيس بن ثعلبة ، ضرب في حمقه المثل فقيل احمق بن هبنقة ، من حمقه أنه جعل في عنقه قلادة من ودع و عظام و خزف فسئل عن ذلك فقال لأعرف بها نفسي ، و لئلا أضل ، فبات ليلة و أخذ اخوه قلادته فتقلدها . فلما أصبح و رأى القلادة في عنق أخيه قال يا اخي أنت انا ، فمن أنا !

الجارح ، لأنه كما بدا لى سليط اللسان فسكت عنه و ما زلت به حتى رضى أن يمشى معى

– قال ولكنى لا أجاوز آخر الشارع

– قلت و أى شارع ؟

– فقال وهل فى دمشق مأة شارع ؟ ! الشارع الذى فتحه جمال باشا و أنا أعرفه من قبل طريقا ضيقا يمتد من بعد المشيرية (١) إلى محطة الحجاز يقطعه هذا الزقاق الذى يصل من (المرجة) (٢) إلى الشابكلية) (٣) زقاق رامى ،

– قلت لقد تغيرت الأرض و من عليها ياولدى ، و فتحت مئات من الشوارع و صارت (المرجة) لب البلد و قد كانت فى آخره ، و قامت وراء (شركة الكهرباء) حيث المزابل (٤) التى تعرفها العمارات الضخمة و الحدائق الواسعة ، و طريق الصالحية الذى كان يمتد وحده بين البساتين ما على طرفيه إلا بيوت قليلة تقوم صفا واحدا وراءه الفضاء صار اليوم سوق المدينة ؛ و قامت على جانبيه أحياء إذا جئتها حسبت نفسك فى (باريز) وحى (المهاجرين) الفقراء من أهل جزيرة (كريت) اقريطس ، صار حى الأغنياء و المترفين . و صارت البقعة الواحدة منه ، التى لا تذرع مئة متر مربعة : أغلى من أرض الحى كلها ؛

(١ – ٢ – ٣) أمكنة فى دمشق (٤) جمع مزبلة مكان يطرح فيه الاوساخ و الكناسات

(و البوابة للصالحية) حيث يمر الترام بين (الخستة خانه) (١)
و (بستان الكركه (١) فى طريق ضيق كان منذ غروب الشمس ،
مربط قطاع الطرق   لقد صارت (بوابة الصالحية) (٣)
ميدانا فسيحا فيه العمارات العالية و الشوارع الفسيحة ، شارع
بغداد ؛ و شارع الأركان   و البساتين صارت أحياء عامرة ،
بستان الأعجام صار حى الحلبونى ٤) و بستان السبكى و بستان
الحبوبى (٥) صار أضخم أحياء الشام .   لقد دارالفلك ثمانا
و أربعين دورة على دمشق التى تعرفها ،

قال :

ــ إذن يجب أن أكون ابن ثمان و أربعين !

قلت نعم

قال ألا ترانى أمامك صبيا ؟

ــ قلت : و أنت ألا ترانى أمامك كهلا ؟ !

ــ قال أرجو ألا تلقى على هذه الفلسفه الجنونية ؛

ــ قلت ويحك . ما ألقيتها عليك ، و هل أنت شئ له
(وجود) ؟ انما ألقيتها على نفسى ،

و صحبت الغلام و سرت به و هو مشدوه مما يسمع ،
و رأى السيارات الكثيرة ، و هى تتعادى و تتسابق مسرعة
مجنونة كأنها راكبة على جناح شيطان . من كل نون و جنس ،
من الصغيرة التى تشبه صندوق اللعب ، إلى الكبيرة التى تسع سبعين
راكبا ، تخرج عن يمينه و عن شماله ؛ و من أمامه ، و من

خلفه : كأنها العفاريت فى قصة (الملك سيف) تتلاطم أصواتها فى الآذن كأنها عزيف الجن (١) فارتاع و وقف حائرا فقلت له

— مالك ؟ ألا تعرف السارات ؟ فلم يشأ أن يظهر الجهل و قال

— و هل تظننى آتيا من الصحراء ؟ كيف لا أعرفها ؟ لقد فاخرت التلاميذ بأن والدى يركب فيها

— قلت و هل كانت مثل هذى ؟

— لا : كانت سيارة واحدة لجمال باشا ، لم يأت دمشق غيرها فكان الناس يخرجون لرؤيتها . وأنا أعرف الطيارة أيضاً ؛ صغيرة لها جناحان ، واحد فوق الآخر ، يركب فيها رجلان . . . .

— قلت ان من الطيارات اليوم ما يركب فيه مأية ، يحملهم من دمشق إلى الهند بقفزة واحدة ،

فنظر إلى ، مفتوح الفم شاخص العينين كأنه لا يصدق !

— قلت وهل تعرف الكهرباء ؟

— قال نعم وأدخلناها دارنا منذ أيام ، وضربنى من أجلها

— قلت و لماذا يضربك من أجلها ؟

— قال : كنت أحدث التلاميذ — أن فى بيتنا مصابيح تشتعل بلا كبريت ؛ ندير زرا فى الجدار فتضيئ فكذبونى فضربتهم فجاء المعلم فضربنى !

---

(١) صوت الجن و غناؤه

ـ قلت و لكن للكهرباء اليوم منافع لا تعرفها ، إنها تدفئ المنازل فى الشتاء و تبرد الطعام فى الصيف و تسير ال . . . .

وصاح الصبي مقاطعا

ـ ما هذا ؟ أعوذ بالله .

فنظرت فاذا هو إعلان عن فلم فى السيما . فيه صورة فتاة عارية و رجل يقلبها فقلت

ـ هذا إعلان سيما . ألا تعرف السيما ؟

ـ قال بلى أخذونا إليها فى المدرسة : فأرونا صور القتال فى ال (شنا قلعة (١)) وكانت فى طريق الصالحية ، بعد (الخستة خانه)

ـ قلت صحيح ، أعرفها : و قد هدمت و شيد فى مكانها عمارة ضخمة تعرض (أفلا ما) من نوع آخر اسمها (البرلمان)

ـ قال و لكن كيف لا تمنع الحكومة هذا المنكر كيف لا ينكره العلماء ؟

ـ قلت إن أمثال هذه الصور فى كل مكان ، أنظر

و أشرت إلى المجلات المعلقه فى الطرق عند البياعين ، و سألته :

ـ ألا تقرؤن المجلات ؟

ـ قال : و ما المجلات ؟ إننا لا نعرفها !

ـ قلت أتقرؤون كتبا غير كتب المدرسة ؟

---

(١) مكان فى دمشق

— قال نعم ، أنا أقرأ فى العقد و حياة الحيوان للدميرى وكتاب الفرج بعد الشدة و الأغانى ،

— قلت هذه كتب لا يقرؤها إلا العلماء ، فمن دلك عليها و أنت فى هذه السن ؟

— قال : كان (الرجال) الذين يجتمعون على أبى للدرس كل يوم يتناقشون ؛ فيقول لى أبى هات الجزء الرابع من (تاج العروس) هات الثالث من (الحاشية) هات الخامس من (فتح القدير) فتعلمت أسماء الكتب ، و صرت أدخل المكتبة وحدى ، فأسحب كل كتاب ، فأقرأ فيه صفحة فان أعجبنى قرأته ، و إلا أخذت غيره فمن هنا عرفت هذه الكتب ؛

— قلت و هل يعرفها رفاقك فى المدرسة ؟

— قال إن بعضهم يعرف بعضها ،

— قلت ألا تقرؤون كتبا للتسلية ؟

فأحمر وجهه و سكت ،

— قلت خبرنى لا تكذب على ، و لا تخف منى ،

— قال و لماذا أخافك ؟ أنا لا أخاف أحدا ، ثم إنى مؤمن لا أكذب أبدا ، و هل يكذب المؤمن ؟ !

— قلت إذن خبرنى !

— قال نقرأ القصص فى الخفاء ، قصة عنترة (١) و حمزة

---

(١) عنترة ، شاعر و شجاع جاهلى مشهور

البهلوان و الملك سيف (١) وكنا نقلد هؤلاء الأبطال فنتبارز فى صحن الأموى كل يوم عند ما ندخله ؛

— قلت و لماذا كنتم تدخلونه كل يوم ؟

قال لماذا ؟ لنصلى و نسمع الدروس ؛

— قلت و لم ؟ أليس فى المدرسة درس دين ؟

— قال لا

— قلت كيف ؟ ألا يعلمونكم القرآن ؟

— قال بلى ، عندنا درس تجويد ، و درس تفسير ،

— قلت و الفقه ؟

— قال و عندنا درس فقه ، و عندنا درس حديث ؛ و درس وعظ ،

قلت وكم ساعة فى الأسبوع لذلك كله ؟

— قال عشر ساعات ،

— قلت إنهم يستكثرون عليها الآن ساعتين فى الأسبوع

— قال : و لماذا يحسبونها درسا واحداً ؟ إنها دروس مختلفة و لو كان يجمعها اسم الدين ، فاذا كان يكفيها ساعتان ، فاجعلوا للعربية ساعتين فقط للنحو و الصرف و الانشاء و الأملاء و المحفوظات (٢) و للرياضيات ساعتين فقط للحساب و الهندسة و الجبر و للطبيعيات ساعتين و لو تعددت علومها ،

---

(١) من أسماء الأساطير (٢) مايحفظه الأولاد فى المدارس

وقطع الحديث و جعل ينظر مشدوها إلى النساء السافرات ، الباديات الأذرع إلى الآباط ، و السيقان إلى الركب ، الكاشفات الشعر و النحر و الصدر ؛

ــ قلت : مالك ؟

ــ قال : ما هؤلاء ؟

ــ قلت نساء ،

ــ قال : و هل تظنني حسبتهن بقرا ، و لكن كل نساء الشام يلبسن الملاءة ، لا تفرق المسلمة من النصرانية أو اليهودية ، إلا بأن هذه تستر وجهها ؛ و تلك تكشفه ؛ أما الملاءة فللجميع فماذا يكون هؤلاء ، إذا لم يكن مسلمات و لانصرانيات و لا يهوديات ؟

و سكت ، لأني لم أجد جوابا ، و طال السكوت و فكرت فيما كنا فيه ، و ما صرنا إليه ،

(للأستاذ علي الطنطاوي من مجلة المسلمون عدد ٧ ١٣٧٤ هـ)



(١) ما يحفظه الأولاد في المدارس

عدوان يسالمان

زعموا أن شجرة عظيمة كان فى أصلها جحر سنور يقال له رومى ؛ وكان قريبا منه جحر جرذ يقال له فريدون وكان الصيادون كثيرا يتداولون ذلك المكان يصيدون الوحش و الطير ، فنزل ذات يوم صياد ، فنصب حبالته قريبا من موضع رومى ؛ فلم يلبث أن وقع فيها ، فخرج الجرذ يدب و يطلب ما يأكل ، و هو حذر من رومى ، فبينما هو يسعى إذ بصر به فى الشرك ؛ فسر واستبشر ، ثم التفت فرأى خلفه ابن عرس ، يريد أخذه ، و فى الشجرة بوما يريد اختطافه ؛ فتحير فى أمره . و خاف إن رجع و راءه أخذه ابن عرس ، و إن ذهب يمينا أو شمالا اختطفه البوم ، و ان تقدم أمامه إفترسه السنور ؛ فقال فى نفسه : هذا بلاء قد اكتنفنى ؛ و شرور تظاهرت على ، و محن قد أحاطت بى ؛ و بعد ذلك فمعى عقلى ، فلا يفزعنى أمرى ؛ و لا يهولنى شأنى ؛ ولا يلحقنى الدهش . و لايذهب قلبى شعاعا و العاقل لا يفرق عند سداد رأيه ؛ و لا يعزب عنه ذهنه على حال ، و إنما العقل شبيه بالبحر الذى لا يدرك غوره ؛ و لا يبلغ البلاء من ذى الرأى مجهوده فيهلكه ، و تحقق الرجاء لا ينبغى أن يبلغ منه مبلغا يبطره و يسكره ، فيعمى عليه أمره ، و لست أرى لى من هذا البلاء مخلصا إلا مصالحة

السنور : فانه قد نزل به من البلاء مثل ما قد نزل بى أو بعضه ، و لعله إن سمع كلامى الذى أكلمه به ؛ و وعى عنى فصيح خطابى ، و محض صدقى الذى لا خلاف فيه ، و لا خداع معه ؛ ففهمه ؛ و طمع فى معونتى إياه نخلص جميعا

ثم إن الجرذ دنا من السنور فقال له كيف حالك ؟ قال له السنور : كما تحب فى ضنك و ضيق ؛ قال و أنا اليوم شريكك فى البلاء ؛ و لست أرجو لنفسى خلاصا إلا بالذى أرجو لك فيه الخلاص ، وكلامى هذا ليس فيه كذب و لا خديعة ، و ابن عرس ها هو كامن لى ؛ و البوم يرصدنى ، وكلاهما لى و لك عدو ؛ فان جعلت لى الأمان ، قطعت حبائلك ؛ و خلصتك من هذه الورطة ؛ فإذا كان ذلك تخلص كل واحد منا بسبب صاحبه : كالسفينة و الركاب في البحر فبالسفينة ينجون ، و بهم تنجو السفينة ؛ فلما سمع السنور كلام الجرذ و عرف أنه صادق ، قال له : إن قولك هذا لشبيه بالحق ، و أنا أيضا راغب فيما أرجو الك و لنفسى به الخلاص ، ثم إنك فعلت ذلك فسأشكرك ما بقيت ؛ قال الجرذ فانى سأدنو منك ؛ فأقطع الحبائل كلها إلا حبلا واحدا أبقيه لأستوثق لنفسى منك ، ثم أخذ فى قرض حبائله ؛ ثم إن البوم و ابن عرس لما رأيا دنو الجرذ من السنور أيسا منه و انصرفا : ثم إن الجرذ أبطأ على رومى فى قطع الحبائل ؛ فقال له : مالى لا أراك مجدا فى قطع حبائلى ؟ قال كنت قد ظفرت بحاجتك : فتغيرت عما كنت عليه و توانيت فى حاجتى : فما ذلك من فعل

الصالحين فان الكريم لا يتوانى فى حق صاحبه و قد كان لك
فى سابق مودتى من الفائدة و النفع ما قد رأيت . و أنت حقيق
أن تكافئنى بذلك . و لا تذكر العداوة بينى و بينك فالذى
حدث بينى وبينك من الصلح حقيق أن ينسيك ذلك . مع ما فى
الوفاء من الفضل و الأجر ، و ما فى الغدر من سوء العاقبة فان
الكريم لا يكون الا شكورا ؛ غير حقود تنسيه الخلة الواحدة من
الاحسان الخلال الكثيرة من الاساءة ؛ و قد يقال إن أعجل
العقوبة عقوبة الغدر ، ومن إذا تضرع إليه . و سئل العفو ؛ فلم يرحم ؛
ولم يعف فقد غدر ، قال الجرذ إن الصديق صديقان طائع
ومضطر ؛ و كلاهما يلتمسان المنفعة ، و يحترسان من المضرة ؛
فأما الطائع فيسترسل إليه ؛ و يؤمن فى جميع الأحوال ؛ و أما
المضطر ففى بعض الأحوال يسترسل إليه ؛ و فى بعضها يتحذر
منه ؛ و لايزال العاقل يرهن منه بعض حاجاته . لبعض ما يتقى
و يخاف ، و ليس عاقبة التواصل من المتواصل إلا طلب عاجل النفع
و بلوغ مأموله . و أنا واف لك بما جعلت لك ، و محترس منك مع
ذلك من حيث أخافك تخوفا أن يصيبى منك ما ألجانى خوفه
إلى مصالحتك ، و ألجأك إلى قبول ذلك منى : فان لكل عمل حينا ؛
فما لم يكن منه حينه فلا حسن لعاقبته ، و أنا قاطع حبائلك كلها
غير أنى تارك عقدة واحدة أرتهنك بها . و لا أقطعها إلا فى
الساعة التى أعلم أنك فيها عنى مشغول و ذلك عند معاينتى الصياد ؛
ثم إن الجرذ أخذ فى قطع حبائل السنور . فبينما هو كذلك اذ وافى

الصياد ، فقال له السنور الآن جاء الجد فى قطع حبائلى ، فأجهد الجرذ نفسه فى القرض ، حتى إذا فرغ وثب السنور إلى الشجرة على دهش من الصياد ، و دخل الجرذ بعض الأحجار و جاء الصياد فأخذ حبائله مقطعة ؛ ثم انصرف خائبا

(كليلة و دمنة)

بغداد

مدينة شهيرة بالعراق فى عرض ٣٣،٢٠ شمالا و طول ٤٤،٢٥ شرقا على بعد ١،٦٠٠ كيلومتر من الآستانة إلى الجنوب الشرقى و ٥٠٠ ميل من مصب (١) شط العرب (٢) فى خليج العجم ، محيطها نحو ٢٥ كيلومتراً و عدد سكانها نصف مليون نفس من عرب و ترك وعجم و أكراد و هنود و أفرنج ؛ أغلبهم مسلمون بين سنة و شيعة ، و هى قاعدة و لاية باسمها واقعة على جانبى دجلة و عرضه هناك ٧٠٠ قدم ثلثها على ضفته اليمنى و هو الجانب الغربى و الثلثان الآخران على اليسرى و هو الشرقى

و يحيط بالقسم الشرقى سور من الطوب (٣) أكثره منهدم

(١) مكان صب النهر (٢) مجرى الماء من ملتقى دجلة و الفرات إلى البحر

(٣) الآجر ، جمعه أطواب

مسافته عدة كيلو مترات و أمامه خندق و عليه عدة أبراج أكثرها منقض ؛ و قلعتها ذات أهمية و هى واقعة فى الطرف الشمالى الغربى قرب دار الحكومة ، و قد عرف الجانب الشرقى بالرصافة و الجانب الغربى بالكرخ ، و بالكرخ كان عقر المنصور و بالرصافة مقر الرشيد و من وليه كان له بها قصر عظيم و هو الذى وضع لها هذا الاسم ، و بيوت بغداد مبنية على الأكثر بالآجر ، و هى ذات طبقة واحدة ، و يحيط بكل دار سور علوه ٢٥ قدماً و شكل البناء واحد فأما بيوت الأغنياء فتكون أوسع و بها كثير من الخانات و القهاوى و الحمامات و المساجد و الجوامع و كنائس للنصارى و مجامع لليهود فأما الجوامع فلها قباب حسنة مصبوغ ظاهرها بالخضرة و مفروش داخلها بالقاشانى ؛ و على نصف فرسخ من الجانب الشرقى مسجد الامام موسى الكاظم و فيه تربته

و أما موقع المدينة فجميل نزه تحف بها البساتين و غيطان النخل ممتدة إلى مسافة شاسعة منها ؛ و هواء بغداد جاف سليم لكن بسبب فيضان دجلة تستنقع فيها المياه فتولد أمراضا و إذا زاد الفيض فى الشتاء تستحيل إلى طاعون ؛ و بها مرض جلدى يشبه حبة حلب متسلط على عامة أهلها ، و الهواء فى الصيف شديد الحرارة حتى يقيم أهلها نهارا فى سراديب تحت الأرض و ليلا على السطوح ، و فى الشتاء يشتد البرد حتى يلتزموا أن يضرموا النار للاستدفاء ، و شربهم من ماء دجلة يجعلونه فى آنية من خزف

فيبرد فيها ؛ و فى بعض الدور برك يتسرب اليه الماء ، وزيهم فى الملبوس العمامة و الجبة . و النساء شديدات التحجب يتزرن بالحبرات الحريرية الملونة و الفقيرات بالأعبية (١) و الشيعة غاية فى التعصب ؛ و أعيان الأهالى يحسنون موانسة الغريب ، و أما حالة العلم فنى انحطاط الا فيما ندر ،

وكانت هذه المدينة قديما جليلة الشأن عظيمة الشهرة فى العمارة و التجارة و الزخرفة ؛ و أما العلم فقد أخذ فيها كل مأخذ و لا سيما فى أيام الرشيد و المأمون . و المأمون أنشأ فيها مرصدا فلكيا و أمر باستخراج كتب الحكمة من اليونانية فزهت بالعلماء و الفضلاء و خرج منها فطاحل (٢) الأئمة فى كل العلوم وبلغ عدد سكانها فى تلك الأيام (سنة ٢١٦ هجرية) نحو مليونين من الأنفس وأقامت بها الدولة العباسية المصانع الجليلة والقصور المنيفة (٣) وكانت دار الخلافة مرصعة بالمعادن النفيسة . و حوت من الأنبية الجليلة و الأمتعة الثمينة و الحجارة الكريمة و الأقمشة الفاخرة ما لم يجتمع فى مدينة مثلها ؛ و لما سقطت الخلافة سقطت بغداد و امتد فيها الخراب و اشتدت بها الفتن ، و كثر فيها الحريق و التخريب فخمدت نار عزها و تهدمت أسوار مجدها و اندرست رسوم مدارسها و تقوضت قباب مصانعها ، حتى صارت أثرا بعد عين ؛ و قد خرج منها من الأدباء و العلماء و الفقهاء و الشعراء و المحدثين و الرواة و الأطباء و المنجمين و غيرهم من أئمة الدين

(١) كان ذلك فى القديم أما الآن فيا لعكس (٢) كبار (٣) العالية

و الأدب عدد غفير ، منهم القاضى أبو يوسف و الامام أحمد ابن حنبل و السرى السقطى و أبو القاسم الجنيد و بشر الحافى و خير السياح و ابن البواب و أبو نواس و الخطيب البغدادى و غيرهم ، و ذكرها ابن جبير فى القرن الثانى عشر و قال هذه المدينة وإن لم تزل حاضرالخلافة العباسية فقد ذهب أكثر رسمها فلا حسن فيها يستوقف البصر إلا دجلة ؛

و قد بنيت بغداد فِي نواحى مدينة سلفكة القديمة فى أواسط القرن الثامن للميلاد بناها الخليفة أبو جعفر المنصور ثانى الخلفاء العباسيين شرع فى تخطيطها سنة ١٤٥ هجرية وأتم بناءها سنه ١٤٩ ، و جعلها مدورة لئلا يكون بعض الناس أقرب إليه من بعض و سماها مدينة السلام و سمى ايضا القسم الذى بناه إلى الجانب الغربى بالزوراء ، و أما اسم بغداد ففيه أقوال مختلفة من أخصها أنه كان فى موضع بغداد سوق تقصدها تجارالصين فيربحون و يقولون بغ داد أى عطية بغ و بغ اسم ملكهم ؛ و قيل بل بغ اسم صنم و داد بمعى أعطى ؛ و قيل غير ذلك و فيها سبع لغات بغداد و بغداذ و بغذاذ و مغداد و مغذاذ و بغدان و مغدان. و زيد بغدين ، و قيل انه كان فى موضع بغداد قرية تسمى باسمها وكانت تقام فيها سوق عظيمة فى كل شهر فيأتيها تجار فارس و الأهواز و سائر البلاد ؛

و لما أكمل المنصور بناء المدينة أقطع أصحابه القطائع فعمروها و سميت بأسمائهم و فى سنة ١٤٩ استتم المنصور سور المدينة

و خندقها و فرغ من جميع أمورها و استقر فيها ؛ و سنة ١٥٧ بنى قصره الكبير المعروف بالخلد و حول الأسواق إلى الكرخ ، و لما قرب أجل المنصور أوصى ولده المهدى و كان من جملة ما قاله له : أنظر هذه المدينة واياك أن تستبدل بها غيرها و قد جمعت لك فيها من الأموال ما إن كسر عليك الخراج عشر سنين كفاك لأرزاق الجند و النفقات و الذرية و مصلحة البعوث ؛ فاحتفظ بها ،

و فى سنة ٤٥٨ بنى نظام الملك الوزير ببغداد مدرسة جليلة دعاها النظامية ، فاجتمع اليها جم غفير من الطلبة و نجحت نجاحا عظيما ،

و بقيت بغداد فى ولاية الخلفاء العباسيين و السلاطين من آل بويه و آل سلجوق و غيرهم إلى سنة ٦٥٦ هجرية . فلما كانت سنة ٦٥٦ المذكورة دخلها التتر واستولوا عليها و قتلوا بها الخليفة المستعصم بالله و هو آخر الخلفاء العباسيين . و انقرضت به الخلافة فيها و تملكها التتر ثم العثمانيون ، و قد وجد التتر بها من الأموال و الذخائر و التحف النفيسة ما قضوا به عجبا ؛ و أما سبب مجئ التترو ملكهم بغداد فقد ذكره أبو الفداء فى أول السنة المذكورة ؛ و ذلك أن الوزير مؤيد الدين بن العلقمى كان رافضيا و كان أهل الكرخ أيضا روافض فجرت فتنة بين السنة و الشيعة على عادتهم فأمر أبوبكر ابن الخليفة و ركن الدين الدوا دار العسكر فنهبوا الكرخ و هتكوا النساء فعظم الأمر على الوزير ابن العلقمى فكاتب

التتر و أطمعهم فى ملك بغداد وكان سلطانهم هولاكو المشهور فى غزواته و فتوحاته ، و نزل هولاكو على بغداد من الجانب الشرقى و نزل باجو و هو مقدم كبير فى الجانب الغربى على قرية قبالة دار الخلافة ؛ وخرج ابن العلقمى إلى هولاكو فتوثق منه لنفسه و عاد إلى الخليفة المستعصم و قال إن هولاكو يبقيك فى الخلافة كما فعل بسلطان الروم و يريد أن يزوج ابنته من ابنك أبى بكر و حسن له الخروج إلى هولاكو فخرج اليه المستعصم فى جمع من أكابر أصحابه فأنزل فى خيمة ثم استدعى الوزير الفقهاء و الأمثال ، فاجتمع هناك جميع سادات بغداد و المدرسون وكان منهم ابن الجزرى و أولاده و كذلك بقى يخرج إلى التتر طائفة بعد أخرى فلما تكاملوا قتلهم التتر عن آخرهم ؛ ثم مد الجسر فعبر باجو و من معه و بذلوا السيف فى بغداد و هجموا على دار الخلافة وقتلوا كل من كان فيها من الأشراف و لم يسلم إلا من كان صغيرا فأخذ أسيرا و دام القتل و النهب فى بغداد نحو أربعين يوما ثم نودى بالأمان ،

و ولاية بغداد عبارة عن بلاد بابل القديمة و قسم من أشور وبلاد ما بين النهرين ؛ فتكون مشتملة على كردستان و خورستان والجزيرة و العرلق العربى ؛ طولها ٨٩٠ كيلو مترا و عرضها ٥٥٠ كيلو مترا و مساحة أرضها ٢٤٢٠٢٧٧ كيلو مترا (١) مربعا ..... و هواؤها شديد الحر فى الصيف ؛ و فى شمالى الولاية جبال

(١) نحو ثلثى ميل واحد

كردستان و عدة شعب تتفرع من جبـال طوروس ؛ و يجرى فيهـا
عدة أنهر و جداول و أشهر أنهرهـا الفرات و دجلة و الخـابور
و تربتها مخصبة فى نواحى الأنهر و مجـدبة فى غير مواضع. و من
حاصلاتها القطن و الحنطة و التمر و العنب و غير ذلك ، و فى غربى
الولاية قفر شاسع تسكنه قبائل من البدو
(دائرة المعارف للبستانى بتصرف خفيف)

أقوال النـاس

أرى الناس قد أغروا ببغى وريبة — و غى إذا ما ميز النـاس عا
إذا ما رأوا خيرا رموه بظنـة — و إن عاينوا شراً فكل مناض
وليس امرؤ منهم بناج من الأذى — و لا فيهم عن زلة متغـافل
وإن كان ذا ذهن رموه ببدعة — و سموه زنديقا و فيه يحاول
و إن كان ذا دين يسموه نعجة — و ليس له عقل و لا فيه طائل
وإن كان ذا صمت يقولون صورة — ممثلة بالعى بل هـو جاهل
و إن كان ذا شر فويل لأمـه — لما عنه يحكى من تضم المحافل
وإن كان ذا أصل يقولون إنما — يفاخر بالموتى و ما هـو زائل
و إن كان ذا مال يقولون ماله — من السحت (١) قد رابى وبئس المآكل

(١) الحرام من المـال

و إن كان ذا فقر فقد ذل بينهم حقيرا مهينا تزدريه الأراذل
وإن قنع المسكين قالوا لقلة وشحة نفس قد حوتها الأنامل
وإن هو لم يقنع يقولون إنما يطالب من لم يعطه ويقاتل
وإن يكتسب ما لا يقولوا بهيمة أتاها من المقدور حظ ونائل
وإن جاد قالوا مسرف ومبذر وإن لم يجد قالوا شحيح وباخل
وإن حج قالوا ليس لله حجه و ذاك رياء أنتجته المحافل
وما الناس إلا جاحد ومعاند وذو حسد قد بان فيه التخاتل

فلا تتركن حقا لخيفة قائل
فان الذى تخشى وتحذر حاصل

(ابن دريد)
كنوز الأجداد

الشوارع و البريد فى الهند الاسلامية

الشوارع التى كانت من مستعمرات الملوك الاسلامية فى الهند كثيرة لا تكاد تحصر وها نحن نذكر ما كان منها أشهر و أذكر ، منها الشارع الذى كان بين وادى السند و حضرة دهلى ؛ وكانت مدينة سيوستان من السند بينها و بين ملتان مسيرة عشرة أيام و بين بلاد السند و مدينة دهلى مسيرة خمسين يوما ؛ و منها

الشارع الذى كان بين مدينة دهلى و مدينـــة دولة آباد على مسيرة أربعين يوما ؛ والطريق بينها تكتنفه الأشجار من الصفصاف (١) وسواه فكأن الماشى عليه فى بستان ، و فى كل ميل منه ثلاث داوات و هى البريد ؛ و فى كل داوة ما يحتـاج المسافر اليه فكأنه يمشى فى سوق مسيره أربعين يوما ؛ و منها الطريق إلى بلاد تلنگ و المعبر و فى كل منزلة قصر للملوك و زاوية للواردين و الصادرين ؛ فلا يفتقر الفقير إلى حمل زاد فى ذلك الطريق ،

و منها الشارع الذى كان بين مدينة دهلى ، و بين ديار مدينة مالوه و بينهما أربعة و عشرون يوما و على الطريق بينهما أعمدة منقوش عليها عدد الأميال فيما بين كل عمودين ؛ فاذا أراد المسافر أن يعلم عدد ما سار فى يومه ، و ما بقى له إلى المنزل أو إلى المدينـــة فقصدها و قرأ النقش الذى فى الأعمدة فعرفه ؛ و هذه الشوارع الأربعة التى كانت معمورة إلى مدة الدهور ينتفع بها العامة ، و قد رآها محمـــد بن بطوطة المغربى فى رحلته إلى الهند ، و مر بها و وصفها كما ذكرناه . ثم لما ولى المملكة شير شاه السورى أسس شوارع أخرى ؛ و منها الشارع الكبير الذى يمتد من قلعة رهتاس گڈھ التى بناها شير شاه المذكور فى بال ناته جوگى على عشرين و مأية ميل من لاهور إلى بلدة سنار گاؤن من أرض بنگاله على مسيرة أربعة أشهر . و منها الشارع الذى يمتد من آگره إلى جودھ پور و إلى قلعة چتور ؛ و منها الشارع الذى

(١) نوع من الشجر ،

يمتد من آ گره إلى برهان پور من بلاد خانديس ؛ ومنها الشارع الذى يمتد من لاهور إلى ملتان (وهذه) الأربعة تكتنفها الأشجار المثمرة ؛ وبنى عليها سبعمائة وألف رباط ، وبنى فى كل رباط دوراً ومساكن للهنادك ولأهل الاسلام على حدة : على حدة ؛ وعلى أبواب الرباطات السقاية المملوءة بالماء يشرب منها ، و فى كل منها رجل موكل من البراهمة يسقى الهناك الماء البارد و إذ احتاجوا إلى الغسل يعطيهم الماء الحار و يسوى لهم الطعام ، و يفرش لهم البسط و يأتى بالعلف للدواب ، و كل من ينزل فى تلك الرباطات يعطى له المآكل و المشارب و غير ذلك ما يحتاج اليـه المسافر حسب منزلته بلا قيمة ، فلا يفتقر أحد من المسافرين إلى حمل زاد فى تلك الطرق ، وكان فى كل رباط مسجد فيه الامام و المؤذن على نفقـة السلطان ؛ و فى كل رباط جماعة من الشحنة (١) و أتباعه من الحافظين و فى كل رباط فرسان للاداوات ،

ثم لما ولى الملك سليم شاه بن شير شاه أسس بين كل رباطين من أبنية والده رباطا ، و بنى المساجد و حفر الآبار ؛ و وظف السقاة بها و أضاف أفراس الأداوات ثم لما ولى الملك أكبر شاه التيمورى توجه إلى إصلاح الشوارع و أمر سنة ٩٨١ هـ أن تحفر الآبار فى كل ميل من آگره إلى أجمير ؛ و أن يبنوا المنارات فى كل ميل ، ثم لما ولى ولده جهانگير اعتنى باصلاح الشوارع بين لاهور و آگره و أن يحفر الآبار فى كل ثلاثة أميال على الشارع

---

(١) رئيس الشرطة ،

المذكور ، و أن يغرس الأشجار المظللة فى جانبيها ؛ و أمر أن يبنى الرباطات فى الممالك الخالصة من الخزانه الشاهانية و فى أقطاع الأمراء من نفقتهم ؛ و أن يبنى المساجد و تحفر الآبار فى كل رباط فامتثلوا أمره و غرسوا الأشجار المظللة و حفروا الآبار و أنشأوا الرباطات فى كل خمسة أميال تقريبا ، و أمر فى سنة ١٠٣١ ﻫ لاصلاح الشوارع بين لاهور وكشمير و أن تبنى القصور العالية فى كل منزل من منازلها ؛ فأسس أحد عشر قصرا رفيعا فى أحد عشر منزلا ، و ليعلم أن من يريد السفر إلى كشمير من لاهور فله ثلاث طرق (١) طريق پكهلى ؛ و فيها خمسة و ثلاثون منزلا و المسافة بين لاهور وكشمير من هذا الطريق مأية و ميلان(٢) طريق پنوج و فيها ثلاثة و عشرون منزلا و المسافة بينهما تسعة و تسعون ميلا (٣) طريق پير پنجال وكشمير من هذا الطريق على مسيرة ثمانين ميلا ، منها ثمانية منازل فى أرض مستوية واثنا عشر منزلا فى أودية الجبال ، و فى هذا الطريق أسست القصور بأمر جهانگير المذكور هذا ؛

و لما ولى الملك شاهجهان بن جهانگير أمر باصلاح الشوارع و عمارة الرباطات فأسس على مردان خان فى أيام حكومته بكشمير شارعا كبيرا من كشمير إلى راجورى ، و حفر الآبار و أجرى العيون و أسس رباطات كثيرة فى الطريق انجد آثارها فى تهته و بهرام گله و سوخته و يوشيانه و شاپه مرگ و هيره پور ، ثم لما ولى عالمگير بن شاهجهان وكل أميرا من أمرائه سنة ١٠٧٢ ﻫ لاصلاح

الطريق بين لاهور و كشمير، و أمر باصلاح الشوارع من آكره إلى أورنگ آباد و من لاهور إلى كابل ، و أمر أن يعمر الرباطات الجديدة و الخانات من الأحجار و الجص و الآجر فى غاية الحصانة و المتانة ، و حفرت الآبار فيها و بنيت المساجد ؛ و فى كل منزل من منازلها بنيت خانات كبيرة للواردين و الصادرين لينزلوا فيها و يحفظوا أموالهم و أفراسهم ، و أسست الجسور الكبيرة و القناطر الكثيرة على الأنهار ، فى تلك الطرق و أنفق فيها القناطير المقنطرة من الذهب و الفضة ؛

أما البريد فهو فى بلاد الهند صنفان ؛ بريد الخيل و يسمونه بالتركية « أولاق » بضم الواو و آخره قاف و هو خيل للسلطان فى كل مسافة أربعة أميال و بريد الرجالة فيكون فى مسافة ميل ؛ منه ثلاث رتب و يسمونه الداوة بالدال المهملة و الواو و هى ثلث الميل ؛ و ترتيب ذلك أن يكون فى كل ثلث ميل قرية معمورة و يكون بخارجها ثلاث قباب يقعد فيها الرجال مستعدين للحركة ؛ قد شدوا أوساطهم ، و عند كل واحد منهم ، مقرعة مقدار ذراعين ، بأعلاها جلاجل من نحاس ، فاذا خرج البريد من المدينة أخذ الكتاب بأعلى يده ، و المقرعة ذات الجلاجل (١) باليد الأخرى ، و إذا كانت الكتب كثيرة أو شئ أثقل يدخلها فى الصرة ؛ و الصرة يعلقها فى المقرعة و يأخذ رأسها باليد ؛ و يضع جانبها الآخر على الكتف حيث تقع الصرة على ظهره ؛ ثم يعدو

(١) جمع جلجل ، أجراس صغيره

ينتهى جهده فاذا سمع الرجال الذين فى انتظاب صوت الجلاجل تأهبوا له . فاذا وصلهم أخذ أحدهم الكتاب والصرة من يده ، ويجرى بأقصى جهده وهو يحرك المقرعة حتى يصل إلى الداوة الأخرى ولا يزالون كذلك حتى يصل الكتاب أو الصرة إلى حيث يراد منه ، وهذا بريد الخيل ذكره ابن بطوطة فى كتابه ،

(جنه المشرق)

بيت أبى

لأحمد أمين المصرى

وكان بيتنا محكوما بالسلطة الأبوية فالأب وحده مالك زمام أموره لا تخرج الأم إلا باذنه ولا يغيب الأولاد عن البيت بعد الغروب خوفا من ضربه ، ومالية الأسرة فى يده يصرف منها كل يوم ما يشاء كما يشاء ، وهو الذى يتحكم حتى فيما نأكل وما لا نأكل ، يشعر شعورا قويا بواجبه نحو تعليم أولاده : فهو يعلمهم بنفسه ويشرف على تعليمهم فى مدارسهم ؛ سواء فى ذلك أبناؤه وبناته ، ويتعب فى ذلك نفسه تعبا لا حد له حتى لقد يكون مريضا فلا يأبه بمرضه ويتكئ على نفسه ليلقى علينا

درسه أما إيناسنا و إدخال السرور و البهجة علينا و حديثه اللطيف معنا فلا يلتفت إليه و لا يرى أنه واجب عليه . و يرحمنا و لكنه يخفى رحمته و يظهر قسوته و تتجلى هذه الرحمة فى المرض يصيب أحدنا و فى الغيبة إذا عرضت لأحد ما يعيش فى شبه عزلة فى دوره (١) العالى و يأكل وحده و يقرأ وحده و يتعبد وحده و قلما يلقانا إلا ليقرئنا أما حديثنا و فكاهتنا و لعبنا فمع أمنا

و قد كان لنا جدة — هى أم أمنا — طيبة القلب شديدة التدين يضيئ وجهها نور ، تزورنا من حين لآخر و تبيت عندنا و نفرح بلقائها و حسن حديثها ، وكانت تعرف من القصص الشعبية — الريفية منها و الحضرية — الشيئ الكثير الذى لا يفرغ ، فنتحلق حولها ونسمع حكاياتها و لا نزال كذلك حتى يغلبنا النوم ، و هى قصص مفرحة أحيانا مرعبة أحيانا ، منها ما يدور حول سلطة القدر و غلبة الحظ و منها ما يدور حول مكر النساء و دهائهن و منها حول العفاريت و شيطنتها ، و الملوك و العظماء و ذلهم أمام القدر الخ ، و تتخلل هذه القصص الأمثال الشعبية اللطيفة و الجمل التى يتركز فيها مغزى القصة ، و أحيانا كان أخى الكبير يقرأ لنا فى ألف ليلة و ليلة فاذا أتى إلى جمل ماجنة متهتكة تلعثم فيها و خجل و اضطرب و حاول أن يتخطاها ؛ و أحيانا يزل لسانه فيقرأها فيضحك

---

(١) طابق من البيت .

بعض من حضر و تخجل أمى و جدتى فيهرب أخى من هذا الموقف المربك و تقف القراءة ؛

و لكن كان بيتنا – على الجملة – جداً لا هزل فيه متحفظا ليس فيه ضحك كثير و لا مرح كثير و ذلك من جد أبى وعزلته و شدته ؛

و لم تكن المدنية قد غزت البيوت و خاصة بيوت الطبقة الوسطى أمثالنا فلا ماء يجرى فى البيوت و إنما هو سقاء يحمل القربة على ظهره و يقذف ماءها فى زير فى البيت تملأ منه القلل و تغسل منه المواعين، وكلما فرَغت قربة أحضر قربة ؛ و السقاء دائم المناداة على الماء فى الحارة و حسابه لكل بيت عسير ، إذ هو يأخذ ثمن مائه كل أسبوع فتارة يتبع طريقة أن يحط خطا على الباب كلما أحضر قربة : لكن بعض الشياطين يغالطون فيمسحون خطا أو خطين و لذلك لجأ السقاء إلى طريقة (الخرز) فيعطى البيت عشرين خرزة و كلما أحضر قربة أخذ خرزة فاذا استنفدت كلها حاسب أهل البيت عليها ؛

و أخيرا – و أنا فتى – رأيت الحارة تحفر و الأنابيب تمد والمواسير والحنفيات تركب فى البيوت و إذا الماء فى متناولنا و تحت أمرنا ؛ و إذا صوت السقاء يختفى من الحارة و يريحنا الله من الخطوط تخط أو الخرز يوزع ،

و طبعى فى مثل هذه الحال أن لا يكون فى البيت

كهرباء فكنا نستضيئ بالمصباح يضاء بالبترول ؛ و لم أستضئ بالكهرباء حتى فارقت حينا إلى حى آخر أقرب من الارستقراطية

و طعامنا يطهى على الخشب ثم تقدمنا فطهينا على رجيع الفحم لحم الكوك(١) ثم تقدمنا أخيرا فطهينا على (وابور بريمس) (٢)

وكل أعمال البيت تقوم بها أمى فلا خادم و لا خادمة و لكن يعينها على ذلك أبناؤها فيما يقضون من الخارج و كرى بناتها فى الداخل ؛

وكان أبى مدرسا فى الأزهر و مدرسا فى مسجد الامام الشافعى و إمام مسجد ؛ و يتقاضى من ذلك نحو إثنى عشر جنيها ذهبا فلم نكن نعرف جنيهات الورق ؛ و أذكر — و أنا فى المدرسة الابتدائية — أن ظهرت عملة الورق فخافها الناس ولم يؤمنوا بها و تندرت (٣) الجرائد الهزلية عليها وكانت لاتقع فى أيدى الناس — و خاصة الشيوخ — حتى يسرعوا إلى الصيارف فيغيروها ذهبا ؛

و كانت الاثنا عشر جنيها تكفينا و تزيد عن حاجتنا و يستطيع أبى أن يدخر منها للطارئ إذ كانت قدرتها الشرائية تساوى الأربعين جنيها أو الخمسين اليوم ، فعشر بيضات بقرش و رطل اللحم بثلاثة قروش أو أربعة ، ورطل السمن كذلك و هكذا ، و من ناحية أخرى كانت مطالب الحياة محدودة و معيشتنا بسيطة ، و مأكلنا معتدل ليس بضرورى فيه تعدد أصنافه و لا أكل اللحم كل يوم

---

(١) الفحم الحجرى (٢) بريمس موقد الغاز (٣) تحدث بالاستخفاف والمزاح

و لم نر فيمن حولنا عيشة خيرا من عيشتنا نشق بالطموح إلى أن نعيش مثلها و لا سيما و لا تمثيل و لكن من حين لآخر تنصب خيما على باب حارتنا يلعب فيها (قرة جوز (١)) أدخل إليها بنصف قرش و يكون ذلك مرة فى السنة أو مرتين ،

و يغمر البيت الشعور الديى فأبى يؤدى الصلوات لأوقاتها و يكثر من قراءة القرآن صباحا و مساء و يصحو مع الفجر ليصلى و يبتهل . و يكثر من قراءة التفسير و الحديث و يكثر من ذكر الموت و يقلل من قيمة الدنيا و زخرفها . و يحكى حكايات الصالحين وأعمالهم وعبادتهم و يؤدى الزكاة و يؤثر بها أقرباءه و يحج وتحج أمى معه — ثم هو يربى أولاده تربيـة دينية فيوقظهم فى الفجر ليصلوا و يراقبهم فى أوقات الصلوات الأخرى ؛ و يسائلهم متى صلوا وأين صلوا ، و أمى كانت تصلى الحين بعـد الحين ، و كلنـا يحتفل برمضان ويصومه . و على الجملة فأنت إذا فتحت باب بيتنا شممت منه رائحة الدين ساطعة زكية . و لست أنسى يوما أقيمت فيه حفلة عرس فى حارتنا ؛ و قدمت فيه المشروبات لبعض الحاضرين فشوهد أخى المراهق يجلس على مائدة فيها شراب فبلغ ذلك أبى فما زال يضربه حتى أغمى عليه — وكان معى يوما قطعة بخمسة قروش فحاولت أن أصرفها من بائع سجائر فشاهدنى أخى الكبير فأخذ يسألنى و يحقق معى تحقيق وكيل النيابة ، مع المتهم خوفا من أن أكون أشترى سجائر لأدخنها إذ ليس أحد فى البيت يحدث نفسه أن يشرب سيجارة ،

---

(١) لعب منظم بالدمى

و بعد فما أكثر ما فعل الزمان ! لقد عشت حتى رأيت
سلطة الآباء تنهار و يحل محلها سلطة الأمهات و الأبناء و البنات
وأصبح البيت برلمانا صغيرا ، و لكنه برلمان غير منظم و لا عادل
فلا تؤخذ فيه الأصوات ، لا تتحكم فيه الأغلبية ، و لكن يتبادل فيه
الاستبداد فأحيانا تستبد الأم و أحيانا تستبد البنت أو الابن و قلما
يستبد الأب ، وكانت ميزانية البيت فى يد صراف واحد فتلاعب بها
أيدى صرافين و كثرت مطالب الحياة لكل فرد و تنوعت ؛ و لم تجد
رأيا واحدا يعدل بينها و يوازن بين قيمتها فتصادمت و تحاربت
و تخاصمت وكانت ضحيتها سعادة البيت و هدوءه و طمأنينته ؛

و غزت المدنية المادية البيت فنور كهربائى و راديو و تليفون
و أدوات للتسخين و أدوات للتبريد و أشكال و ألوان من الأثاث
و لكن هل زادت سعادة البيت بزيادتها ؟

و سفرت المرأة وكانت أمى و أخواتى محجبات لا يرين الناس
و لا يراهن الناس إلا من وراء حجاب — و هكذا من أمور
الانقلاب الخطير و لو بعث جدى من سمخراط (١) و رأى ما كان
عليه أهل زمنه و ما نحن عليه اليوم لجن جنونه ، و لكن خفف من
وقعها علينا أنها تأتى تدريجا و نألفها تدريجا ؛

و يفتر عجبنا منها و إعجابنا بها على مر الزمان و تتحول شيئاً
فشيئاً من باب الغريب إلى باب المألوف

(حياتى)

---

(١) بلدة فى مصر

رسالة إلى الوالدة

من أحمد بن تيمية إلى الوالدة السعيدة أقر الله عينيها بنعمه وأسبغ عليها جزيل كرمه وجعلها من إمائه وخدمه

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

إنا نحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو وهو للحمد أهل وهو على كل شئ قدير ؛ ونسأله أن يصلى على خاتم النبيين وإمام المتقين ، محمد عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وسلم تسليما ،

كتابى إليكم عن نعم من الله عظيمة ومنن كريمة وآلاء جسيمة نشكر الله عليها ونسأله المزيد من فضله ونعم الله كلما جاءت فى نمو وازدياد وأياديه جلت عن التعداد ، وتعلمون أن مقامنا الساعة فى هذه البلاد إنما هو لأمور ضرورية متى أهملناها فسد علينا أمر الدين والدنيا ولسنا والله مختارين للبعد عنكم ولو حملتنا الطيور لسرنا إليكم ولكن الغائب عذره معه وأنتم لو اطلعتم على باطن الأمور فانكم ولله الحمد ما تختارون الساعة إلا ذلك ولم نعزم على المقام والاستيطان شهرا واحدا بل كل يوم نستخير الله لنا ولكم وأدعوه لنا بالخيرة فنسأل الله العظيم أن يخير لنا وللمسلمين ما فيه الخيرة فى خير وعافية ؛

« وقد فتح الله من أبواب الخير والرحمة والهداية والبركة ما لم يكن يخطر بالبال ولا يدور فى الخيال ، ونحن فى كل وقت مهمومون بالسفر مستخيرون الله سبحانه وتعالى فلا يظن الظان أنا نؤثر على قربكم شيئا من أمور الدنيا قط ، بل لا نؤثر من أمور الدين ما يكون قربكم أرجح منه ، ولكن ثم أمور كبار نخاف ضرر الخاص والعام من إهمالها ؛ والشاهد يرى ما لا يرى الغائب ،

« والمطلوب كثير الدعاء بالخيرة فان الله يعلم ولا نعلم ويقدر ولا نقدر ، وهو علام الغيوب ، وقال النبى ﷺ من سعادة ابن آدم استخارته الله ورضاه بما يقسم الله له ، ومن شقاوة ابن آدم ترك استخارته الله وسخطه بما يقسم الله له والتاجر يكون مسافرا . فيخاف ضياع ماله فيحتاج أن يقيم حتى يستوفيه ؛ وما نحن فيه أمر يجل عن الوصف ولا حول ولا قوة إلا بالله »

« والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، كثيرا . كثيرا وعلى سائر من فى البيت من الصغار ، والكبار ، والأهل والأصحاب واحداً واحداً والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما »

(ابن تيمية لأبى زهرة)

تأثير القرآن

وهناك تأثير عظيم الأهمية لم يوفق لغير القرآن من الكتب الدينية فى الأمم الأخرى — ذلك أنه أطال بقاء اللغة العربيـــة الفصحى وجعل ملايين من الناس يقرأونها ويفهمونها ، وهو الذى حفظ الجامعة العربيـــة واستبقى العنصر العربى ؛ لأن الاسلام يفرض على كل مسلم أن يحفظه ويطالعه — لو لا القرآن لكانت لغة العالم العربى لغات متفرقة ليصعب التفاهم بين أصحابها كما صارت إليه اللغة اللاتينية بعد ذهاب دولة الرومان فتفرق أصحابها أمما وطوائف وأمحت الدولة الرومانية والامة الرومانية كما امحت سواها من الأمم التى ذهبت جنسيتها بذهاب لغتها كالسريان والأنباط فى الشام والقبط فى مصر — وهؤلاء انما حفظت جامعتهم بالدين لا باللغة ؛

أما اللغة العربية فقد حفظها القرآن وحفظ بها التفاهم بين الأمم الاسلامية فى الشام ومصر والعراق والحجاز والمغرب وزنجبار والسودان وغيرها ولولاه لكانت كل أمة من هؤلاء تتكلم لغة لا تفهمها صاحبتها ؛ ومع ذهاب التمدن الاسلامى وتقهقر الدولة الاسلاميـــة كان يخشى ضياع تلك الأمم وفناؤها أو اندماجها فى الأمم التى تسلطت عليها كما

أصاب الأمم التى اند مجت بالعرب بعد الاسلام لكنها الآن تجتمع و تتكاتف لأنها تتفاهم بلغة واحدة هى لغة القرآن و تعد نفسها أمة واحدة ؛

ناهيك بمن يقرأ العربية من غير العرب بسبب حفظ القرآن ولو كانوا فى أقصى الشرق كالهند و الصين أو بأواسط آسيا فى تركستان و خراسان و فارس ، فان عدد قراء العربية يزيد على مأتى مليون ، و قرأة التوراة بلغتها الأصلية شرذمة من اليهود المتعلمين و جمهورهم يقرأها بلغة بلاده ، و قراء الأناجيل بلغاتها الأصلية فئة قليلة و أكثر أمم النصرانية يقرأونها فى اللغات المترجمة إليها ؛ أما القرآن فالمسلمون يقرأونه فى اللغة العربية

و يعد من قبيل تأثيره فى آداب اللغة أيضا تأثيره فى أخلاق أصحابه و لكل كتاب من كتب الدين الرئيسية تأثير عام على أتباع ذلك الدين يظهر فيهم و لو تباعدت مواطنهم — و ذلك طبيعى لما تعلمه من تأثير العادات فى الأخلاق و الأبدان و لكل دين تعاليم و تقاليد و آداب تظهر آثارها فى أخلاق اصحابه ، فالمسيحيون يشتركون فى كثير من الآداب و العادات و الأخلاق يمتازون بها عن سواهم و كذلك اليهود و غيرهم

و اعتبر ذلك فى القرآن بل هو أشد تأثيرا فى أصحابه من سواه لأنهم مكلفون بحفظه قبل كل علم و هم أطفال ؛ و هو داخل فى كل شيئ من أمورهم الدينية و الدنيوية و أساس

شرائعهم القضائيـــة و قاعـدة معاملاتهم اليوميـة و أحوالهم العائلية حتى الطعام و اللباس و الشراب و النوم و الغسل و كل شيئ يمكن استنباطه منه و نجد له مثالا فيـه ، و هــذا لا تراه فى الأناجيل مثلا فانها كتب تعليمية لمصلحة الآخرة ؛ فقط ، و لا تجـد فيها شرعا أو حكومة أو أحوالا شخصية أو نحو ذلك إلا ما يأتى عرضاً و يفتقر إلى تأويل ؛

و تأثير القرآن فى أخلاق أهله و معـاملاتهم اليومية و البيتية لا يخلو من التأثير على عقولهم و قرائحهم و آرائـهم و لو بعدت عن الدين و علومـه ؛ فالصبغة الدينيـــة القرآنيـــة أو الاسلامية تظهر فى مؤلفات المسلمين و لو ألفوا فى الفلسفة أو الطب أو الفلك أو الحساب أو غيرهـا من العلوم الرياضيـة أو الطبيعيـة فضلاً عن العلوم الاسلاميـة الشرعيـــة و اللسانيـة و التـاريخ و الأدب ،

و بالجملة فان للقرآن تأثيرا فى آداب اللغة العربية ليس لكتاب دينى مثله فى اللغات الأخرى

(تاريخ آداب اللغة العربية)

لجرجى زيدان



الكرم والسؤدد

لعبد الملك الحارثى (١)

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل

تعيرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها إن الكرام قليل

و ما قل من كانت بقاياه مثلنا شباب تسامى للعلا و كهول

و ما ضرنا أنا قليل و جارنا عزيز و جار الأكثرين ذليل

و إنا لقوم ما نرى القتل سبة إذا ما رأته عامر و سلول

يقرب حب الموت آجالنا لنا و تكرهه آجالهم و تطول

و ما مات منا سيد حتف أنفه و لا طل منا حيث كان قتيل

تسيل على حد الظبات (٢) نفوسنا و ليست على غير الظبات تسيل

علونا إلى خير الظهور و حطنا لوقت إلى خير البطون نزول

فنحن كماء المزن (٣) ما فى نصابنا كهام (٤) و لا فينا يعد بخيل

---

(١) ينسب كثير من الأدباء هذه القصيدة إلى السموأل بن عاديا مع أنها لعبد الملك الحارثى الشاعر الاسلامى ، يشهد بذلك كبار نقدة الأدب و لهم حجج و براهين ساطعة فى هذا الصدد ، (٢) ج ظبة حد السيف أو السنان (٣) السحاب الممطر (٤) الذى لا خير و لا غناء فيه

إذا سيد منا خلا قام سيد قؤول لما قال الكرام فعول
و ما أخمدت نار لنا دون طارق و لا ذمنا فى النازلين نزيل
و أيامنا مشهورة فى عدونا لها غرر معلومة و حجول
سلى إن جهلت الناس عنا و عنهم و ليس سواء عالم و جهول

عزاء على بن أبى طالب لابى بكر

لما قبض أبو بكر سجى بثوب فارتجت المدينة بالبكاء عليه، ودهش القوم كيوم قبض رسول الله (ﷺ) وجاء على بن أبى طالب باكيا مسرعا مسترجعا حتى وقف بالباب و هو يقول: رحمك الله أبا بكر كنت و الله أول القوم إسلاما و أخلصهم إيمانا و أشدهم يقينا و أعظمهم غناء و أحفظهم على رسول الله ﷺ و أحربهم على الاسلام و أحناهم على أهله، و أشبههم برسول الله ﷺ خلقا وفضلا و هديا و سمتا . فجزاك الله عن الاسلام وعن رسول الله و عن المسلمين خيرا . صدقت رسول الله حين كذبه الناس؛ و واسيته حين بخلوا؛ وقمت معه حين قعدوا . سماك الله فى كتابه صديقا فقال « و الذى جاء بالصدق وصدق به » يريد محمدا و يريدك . كنت و الله للاسلام حصنا و على الكافرين عذابا ، لم تفلل حجتك و لم تضعف

بصيرتك و لم يجبن نفسك كنت كالجبل لا تحركه العواصف و لا تزيله القواصف ؛ كنت كما قال رسول الله ﷺ ضعيفا فى بدنك قويا فى أمر الله ، متواضعا فى نفسك عظيما عند الله ؛ قليلا فى الأرض كثيرا عند المؤمنين ؛ لم يكن لأحد عندك مطمع ولا لأحد عندك هوادة ، فالقوى عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه و الضعيف عندك قوى حتى تأخذ له ؛ فلا أحرمنا الله أجرك و لا أضلنا بعدك

(العقد الفريد ج ٣)

المدنية الاسلامية

أما زعم من زعم أن الاسلام لم يتمكن من تأسيس مدنية خاصة و الاستدلال على ذلك بحالته الحاضرة فهو خرافة يموه بها بعض أعداء الاسلام من الخارج و بعض جاحديه من الداخل أما القسم الأول فلأجل أن يصبغوا المسلمين بالصبغة الأوربية ، و أما القسم الثانى فلأجل أن يزرعوا فى العالم الاسلامى بذور الالحاد ،

فتأخر المسلمين فى القرون الأخيرة لم يكن من الشريعة بل

من الجهل بالشريعة ؛ أو من عدم إجراء أحكامها كما ينبغى ، و لما كانت الشريعة جارية على حقها كان الاسلام عظيما عزيزا .

و مدنية الاسلام قضية لا تقبل المماحكة إذ ليس من أمة فى أوربة سواء الألمان أو الفرنسيس أو الانكليز أو الطليان الخ إلا و عندهم تآليف لا تحصى فى « مدنية الاسلام »

فالمدنية الاسلامية هى من المدنيات الشهيرة التى يزدان بها التاريخ العام ، و التى تغض سجلاتها الخالدة بآثارها الباهرة ، و قد بلغت بغداد فى دور المنصور و الرشيد و المأمون من احتفال العمارة و استبحار الحضارة ، و تناهى الترف و الثروة ما لم تبلغه مدينة قبلها و لا بعدها إلى هذا العصر ؛ حتى كان أهلها يبلغون مليونين و نصف مليون من السكان وكانت البصرة فى الدرجة الثانية وكان أهلها نحو نصف مليون

وكانت دمشق ، و القاهرة ؛ و حلب و سمرقند و أصفهان ؛ و حواضر أخرى كثيرة من بلاد الاسلام أمثلة تامة و أقيسة بعيدة فى استبحار العمران ، و تطاول البنيان ، و رفاهة السكان ، و انتشار العلم و العرفان ، و تأثل (١) الفنون المتهدلة (٢) الأفنان ؛ (٣)

وكانت القيروان (٤) و فاس و تلمسان و مراكش فى المغرب

---

(١) تأصل (٢) المهتدلة ، المتدلية (٣) ج فنن ، غصن (٤) فاس ؛ تلمسان ، هى مدن من شمالى افريقيا

أعظم و أعلى من أن يطاولها مطاول أو يناظرها مناظر ، أو أن يكاثرها مكاثر فى بلدان أوربة حتى هذه القرون الأخيرة ؛

وكانت قرطبة مدينة فذة فى أوربة لا يدانيها مدان وكان عدد سكانها نحو مليون و نصف مليون نسمة وكان فيها نحو سبعمأية جامع عدا المسجد الأعظم ، الذى لما زرته فى هذا ، الصيف قال لى المهندس الذى كان معى من قبل الحكومة الاسبانيولية (١) إنه يسع بحسب مساحته خمسين ألف مصل فى الداخل و ٣٠ ألف مصل فى الصحن فجملة من يسعهم هذا المسجد العجيب ثمانون ألفا من المصلين

و لما ذهبنا إلى آثار قصر الزهراء رأيناها آثار مدينة لا آثار قصر و احد ، و علمنا أنها تمتد على مسافة تسعمأية متر (٢) طولا وفى ثمانمأية متر عرضا ، و الاسبانيول يقولون مدينة الزهراء .

و قال لى المهندسون الموكلون بالحفر على آثارها إنهم يرجون الاتيان على كشفها كلها من الآن إلى خمسين سنة وحسبك أن غرناطة التى كانت حاضرة مملكة صغيرة فى آخر أمر المسلمين بالأندلس لم يكن فى أوربة فى القرن الخامس عشر المسيحى بلدة تضاهيها و لا تدانيها ، وكان فيها عند ما سقطت فى أيدى الاسبانيول نصف مليون نسمة . ولم يكن و قتئذ عاصمة من عواصم أوربة تحتوى نصف هذا العدد ؛ و حمراء (٣) غرناطة (٤) لاتزال يتيمة الدهر إلى اليوم

---

(١) الجيل الاسبانى (٢) كل ثلاثة أمتار تعادل عشرة أقدام (٣) قصر عظيم بديع الصنعة ، أثر رائع خالد من آثار مسلمى الأندلس

(٤) مدينة اسلامية كبيرة كانت فى الأندلس

هذه لمحة دالة من مآثر حضارة الاسلام و غرر أيامه ،

و إلا فلو استقصينا كل ما أثر المسلمون فى الأرض من رائع وبديع لم تسع ذلك الجلود الكثيرة و المرصوفة طبقا فوق طبق

و بعد فلم نعلم مدنية واحدة من مدنيات الأرض إلا و هى رشح مدنيات سابقة و آثار آراء اشتركت بها سلائل الشرية ؛ و مجموع نتائج عقول مختلفة الأصول ، و محصول ثمرات ألباب متباينة الأجناس

و على كل حال لا يقدر مكابر أن يكابر أن الاسلام كان له دور عظيم فى الدنيا سواء فى الفتوحات الروحية أو العقلية أو المادية ؛ و إن هذه الفتوحات قد اتسقت له فى دور لا يزيد على ثمانين سنة مما أجمع الناس على أنه لم يتسق لأمة قبله أصلا ؛ وكان نابليون (١) الأول لشدة دهشته من تاريخ الاسلام يقول

إن العرب فتحوا الدنيا فى نصف قرن لا غيره ،

و تأمل أيها القارئ فى أن قائل هذا القول هو بونابرت الذى لم تكن تملأ عينه الفتوحات مهما كانت عظيمة

(حاضر العالم الاسلامى : ج ١)

---

(١) ملك من أعظم الفاتحين فى أوربا فى القرن الماضى

أبو حنيفة النعمان

كان خزازاً يبيع الخز وجده زوطى (١) من أهل كابل وقيل من أهل بابل وقيل من أهل الأنبار (٢) وقيل من أهل نسا وقيل من أهل ترمذ

وأدرك أبو حنيفة أربعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ؛ وهم أنس بن مالك وعبد الله بن أبي أوفى بالكوفة وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة ؛ وأبو الطفيل عامر بن واثلة بمكة

وكان عالما عاملا زاهدا عابدا ورعا تقيا كثير الخشوع دائم التضرع إلى الله تعالى . ونقله أبو جعفر المنصور من الكوفة إلى بغداد فأراده أن يوليه القضاء فأبى فحلف عليه ليفعلن فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل فحلف المنصور ليفعلن فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل . وقال إني لن أصلح إلى قضاء فقال الربيع بن يونس الحاجب ألا ترى أمير المؤمنين يحلف فقال أبو حنيفة أمير المؤمنين على كفارة أيمانه أقدر مني على كفارة أيماني فأمر به إلى الحبس في الوقت

وكان أبو حنيفة حسن الوجه حسن المجلس شديد الكرم حسن المواساة لاخوانه وكان ربعة من الرجال ؛ وقيل كان طوالا

---

(١) نسبة إلى زوط جد الامام أبي حنيفه (٢) الأنبار نسا ، ترمذ ، مدن في العراق وما جاوره.

تعلوه سمرة ؛ أحسن الناس منطقا و أحلاهم نغمة ، ذكر الخطيب فى تاريخه أن أبا حنيفة رأى فى المنام كأنه ينبش قبر رسول الله ﷺ فبعث من سأل ابن سيرين فقال ابن سيرين صاحب هذه الرؤيا يثور علما لم يسبق إليه أحد قبله قال الشافعى رضى الله عنه قيل لمالك هل رأيت أبا حنيفة قال نعم رأيت رجلا لو كلمته فى هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته و روى حرملة بن يحيى عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال الناس عيال على هؤلاء الخمسة من أراد أن يتبحر فى الفقه فهو عيال على أبى حنيفة و كان أبو حنيفة ممن و فق له الفقه : و من أراد أن يتبحر فى الشعر فهو عيال على زهير بن أبى سلمى : ومن أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على محمد بن إسحاق و من أراد أن يتبحر فى النحو فهو عيال على الكسائى ، من أراد أن يتبحر فى التفسير فهو عيال على مقاتل بن سليمان ؛

و قال جعفر بن ربيع أقمت على أبى حنيفه خمس سنين فما رأيت أطول سمتا منه ، فاذا سئل عن الفقه تفتح و سال كالوادى ؛ و سمعت له دويا وجهارة فى الكلام ، وكان إماما فى القياس

قال ابن المبارك رأيت أبا حنيفة فى طريق مكة و قد شوى لهم فصيل سمين فاشتهوا أن يأكلوه بخل ؛ فلم يجدوا شيئا يصبون فيه الخل فتحيروا فرأيت أبا حنيفة قد حفر فى الرمل حفرة و بسط عليها السفرة و سكب الخل على ذلك الموضع فأكلوا الشواء بالخل فقالوا تحسن كل شئ . فقال عليكم بالشكر فان هذا شيئ ألهمته لكم

فضلا من الله عليكم و قال ابن المبارك أيضا قلت لسفيان الثورى يا عبد الله ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة ما سمعته يغتاب عدواً له قط فقال هو عاقل من أن يسلط على حسناته ما يذهبها و قال أبو يوسف دعا أبو جعفر المنصور أبا حنيفة فقال الربيع صاحب المنصور و كان يعادى أبا حنيفة يا أمير المؤمنين هذا أبو حنيفة يخالف جدك كان عبد الله بن عباس رضى الله عنه يقول إذا حلف على اليمين ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو بيومين جاز الاستثناء . و قال أبو حنيفة لا يجوز الاستثناء إلا متصلا باليمين فقال أبو حنيفة يا أمير المؤمنين إن الربيع يزعم أنه ليس لك فى رقاب جندك بيعة قال و كيف ؟ قال يحلفون لك ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم فضحك المنصور و قال يا ربيع لا تتعرض لأبى حنيفة ؛ فلما خرج أبو حنيفة قال له الربيع أردت أن تشيط (١) بدمى قال ولكنك أردت أن تشيط بدمى فخلصتك وخلصت نفسى وكان أبو العباس الطوسى سيئ الرأى فى أبى حنيفة و كان أبو حنيفة يعرف ذلك فدخل أبوحنيفة على المنصور و كثر الناس فقال الطوسى اليوم أقتل أبا حنيفة فأقبل عليه فقال يا أبا حنيفة إن أمير المؤمنين يدعو الرجل فيأمره بضرب عنق الرجل لا يدرى ما هو : أيسعه أن يضرب عنقه فقال يا أبا العباس أمير المؤمنين يأمر بالحق أم بالباطل فقال بالحق قال أنفذ الحق حيث كان و لا تسأل عنه ثم قال أبو حنيفة لمن قرب منه إن هذا أراد أن يوثقنى فربطته . و قال يزيد بن الكميت كان

---

(١) أشاط بدمه عرضه للقتل

أبو حنيفة شديد الخوف من الله تعالى فقرأ بنا على بن الحسين المؤذن ليلة فى العشاء الآخيره سورة إذا زلزلت و أبو حنيفة خلفه فلما قضى الصلاة و خرج الناس نظرت إلى أبى حنيفة وهو جالس يتفكر و يتنفس فقلت أقوم لا يشتغل قلبه بى ، فلما خرجت تركت القنديل و لم يكن فيه إلا زيت قليل فجئت و قد طلع الفجر و هو قائم و قد أخذ بلحية نفسه و هو يقول : يا من يجزى بمثقال ذرة خير خيراً و يا من يجزى بمثقال ذرة شر شرا أجر النعمان عبدك من النار وبما يقرب منها من السوء و أدخله فى سعة رحمتك . فأذنت و إذا القنديل يزهو (١) و هو قائم فلما دخلت قال لى تريد أن تأخذ القنديل قلت قد أذنت لصلاة الغداة فقال أكتم على ما رأيت وركع ركعتين و جلس حتى أقيمت الصلاة و صلى معنا الغداة على وضوء أول الليل ، و قال أسد بن عمرو صلى أبو حنيفة فيما حفظ عليه صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة ؛ وكان عامة ليله يقرأ جميع القرآن فى ركعة واحدة وكان يسمع بكاءه فى الليل حتى يرحمه جيرانه : و حفظ عليه أنه ختم القرآن فى الموضع الذى توفى فيه سبعة آلاف ختمة .

وكانت ولادة أبى حنيفة سنة ثمانين للهجرة وقيل سنة إحدى وستين و الأول أصح ، وتوفى فى رجب و قيل فى شعبان سنة مأة و خمسين و الأول أصح ؛ وكانت وفاته ببغداد فى السجن ليلى القضاء فلم يفعل هذا هو الصحيح . وقيل إنه لم يمت فى السجن ، وقيل توفى فى اليوم الذى و لد فيه الامام الشافعى رضى الله عنه ، و دفن فى مقبرة الخيزران و قبره هناك مشهور

(وفيات الاعيان)

---

(١) يضيئ و ينمو

الطموح

لأبى فراس الحمدانى

غيرى يغيره الفعال الجافى ... و يحول عن شيم الكريم الوافى

لا أرتضى ودا إذا هو لم يدم ... عند الجفاء و قلة الانصاف

تعس الحريص وقل ما يأتى به ... عوضا عن الالحاح و الالحاف

إن الغنى هو الغنى بنفسه ... ولو أنه عارى المناكب حافى

ما كل ما فوق البسيطة كافيا ... و إذا قنعت فبعض شئ كافى

و تعاف لى طمع الحريص فتوتى ... و مروتى و قناعتى و عفافى

ما كثرة الخيل العتاق بزائدى ... شرفا و لا عدد السوام الضافى

خيلى و إن قلت كثير نفعها ... بين الصوارم(١)والقنا الرعاف(٢)

و مكارمى عدد النجوم ومنزلى ... مأوى الكرام و منزل الأضياف

لا أقتنى لصروف دهرى عدة ... حتى كأن خطوبه أحلافى

شيم عرفت بهن مذ أنا يافع ... و لقد عَرفت بمثلها أسلافى

(يتيمة الدهر للثعالبى)

الـكذب

كذب اللسان من فضول كذب القلب فلا تامن الكاذب على ود ولا تثق منه بعهد ، و اهرب من وجهه الهرب كله أخوف ما أخاف عليك من خلطائك و سجرائك (١) الرجل الكاذب ؛

عرف الحكماء الـكذب بأنه مخالفة الكلام للواقع ، و لعلهم جاروا فى هذا التعريف الحقيقة العرفية و لو شاؤا لأضافـوا إلى كذب الأقوال كذب الأفعال ،

لا فرق بين كذب الأقوال و كذب الأفعال فى تضليل العقول و العبث بالأهواء و خذلان الحق و استعلاء البـاطل عليـه و لا فرق بين أن يكذب الرجل فيقول إنى ثقة أمين لا أخون و لا أغـدر فأقرضنى مالا أرده إليك ثم لا يؤديه بعد ذلك و بين أن يأتيك بسبحة يهمهم (٢) بها فتنطق سبحته بما سكت عنه لسانه من دعوى الأمانة و الوفاء فيخدعك فى الثانية كما خـدعك فى الأولى لا بل يستطيع كاذب الأفعال أن يخدعك ألف مرة قبل أن يخدعك كاذب الأقوال مرة واحـدة ؛ لأنه لا يكتفى بقول الزور بلسانه حتى يقيم على قضيته بينة كاذبة من جميع حركاته و سكناته ؛

---

(١) أتراب. (٢) يقرأ بصوت لا يسمع إلا من قرب

ليس الكذب شيئا يستهان به فهو رأس الشرور و رذيلة الرذائل فكأنه أصل و الرذائل فروع له ، بل هو الرذائل نفسها و إنما يأتى فى أشكال مختلفة و يتمثل فى صور متنوعه

المنافق كاذب لأن لسانه ينطق ماليس فى قلبه والمتكبر كاذب لأنه يدعى لنفسه منزلة غير منزلته و الفاسق كاذب لأنه كذب فى دعوى الايمان و نقض ما عاهد الله عليه ؛ و النمام كاذب لأنه لم يتق الله فى فتنته ؛ فيتحرى الصدق فى نميمته . و المتملق (١) كاذب لأن ظاهره ينفعك و باطنه يلذعك ؛ (٢)

لقد هان على الناس أمر الكذب حتى إنك لتجد الرجل الصادق فتعرض على الناس أمره و تطرفهم بحديثه كأنك تعرض عجائب المخلوقات ؛ و تتحدث بخوارق العادات

فويل للصادق من حياة نكدة لا يجد فيها حقيقة مستقيمة ؛ و ويل له من صديق يخون العهد ، و رفيق يكذب الود ، و مستشار غير امين . و جاهل يفشى السر ؛ و عالم يحرف الكلم عن مواضعه و شيخ يدعى الولاية كذبا ؛ و تاجر يغش فى سلعته . و يحنث فى أيمانه و صحفى يتجر بعقول الأحرار ؛ كما يتجر النخاس بالعبيد و الاماء . و يكذب على نفسه و على الناس فى كل صباح و مساء ؛

(النظرات ج ١)

---

(١) تملق له تودد إليه و تذلل له (٢) يؤلم و يحز

كلمات نصح للمسلمين

و أقول للملوك أيها الملوك ! المرضى عند الملأ الأعلى فى هذا الزمان أن تسلوا السيوف ثم لا تغمدوها حتى يجعل الله فرقانا بين المسلمين و المشركين ، و حتى يلحق مردة الكفار و الفساق بضعفائهم لا يستطيعون لأنفسهم شيئا ؛ و هو قوله تعالى « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله » فاذا ظهر الفرقان فرضاء الملأ الأعلى أن تنصبوا فى كل ناحية و فى كل مسيرة ثلاثة أيام وأربعة أيام أميرا عادلا يأخذ للمظلوم حقه من الظالم و يقيم الحدود و يجتهد أن لا يحصل فيهم بغى و لا قتال و لا ارتداد و لا كبيرة ؛ و يفشو الاسلام و يظهر شعائره ، و يأخذه بفرائضه كل أحد و يكون لأمير كل بلد شوكة يقدر بها على اصلاح بلده ، و لا يكون له شوكة يتمتع بسببها و يعصى على السلطان ، و ينصب فى كل أقليم كبير أميرا يقلده القتال فقط يكون جمعه اثنا عشر ألفا من المجاهدين لا يخافون فى الله لومة لائم يقاتلون كل باغ و عاد فاذا كان ذلك فرضاء الملأ الأعلى أن يفتش حينئذ من النظامات المنزلية و العقود ونحوهما حتى لا يكون شئ الاموافق الشرع حتى يأمن الناس من كل و جه ؛

و أقول للأمراء يا أيها الأمراء أما تخافون الله : اشتغلتم باللذات الفانية الدائرة (١) و تركتم الرعية تأكل بعضها بعضا ، أما شربت الخمور جهرة و أنتم لا تنكرون أما بنيت المنازل ودور للزنا و شرب الخمر و القمار و أنتم لا تغيرون ؛ أما هي البلاد الكبيرة لم يضرب فيها حد منذ ستمأية عام أو أكثر من وجد تموه ضعيفا أكلتموه و من وجد تموه قويا تركتموه وعتوه . غاصت أفكاركم في لذائذ الطعام و نواعم النساء و محاسن الثياب و الدور ؛ و ما رفعتم إلى الله رأسا و ما ذكرتموه إلا بألسنتكم في حكاياتكم كأنكم تريدون باسم الله انقلاب الزمان ، وتقولون الله قادر على كذا : تعنون أن الزمان قد ينقلب كذلك ،

وأقول لجماعات المسلمين خطايا واحدا يا معشر بني آدم رقدتم أخلاقكم وغلب عليكم الشح واستحوذ عليكم الشيطان وزترت النساء على الرجال و غمط (٢) الرجال على النساء و استطبتم الحرام و استبشعتم (٣) الحلال فو الله إن الله لا يكلف نفسا إلا ما تطيق ، فلا تتكلفوا في نفقتكم و زيكم بما لا تطيقون و لا تضيقوا الأمور على أنفسكم فانكم إن ضيقتم خرجت نفوسكم إلى حد الصفق ، و إن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه وعالجوا شهوة بطونكم بالأطعمة و اكتسبوا قدر ما يكفيكم ، و لا تكونوا كلا على الناس تسألونهم فلا يعطونكم و لا تكونوا كلا على الخلفاء و الأمراء ؛ إنما

---

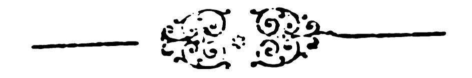
(١) التي تبلى وتمحى (٢) النعمة لم شكرها (٣) شيئا وجده وأحس به قبيحا

المرضى لكم الكسب بأيديكم إلا عبداً ألهمه الله أن الله يكفيك ، و الله يعصمك من آفات الفقر

يا معشر بنى آدم من رزقه مسكنا يؤويه و مشربا يرويه و مطعم يشبعه و ملبسا يستره و منكحا يحصن فرجه و يعاونه فى معيشته فقد أدى له الدنيا بحذافيرها(١) فليشكر الله و ليتخذ كسبا يكفيه و ليكن من شأنه القناعة و القصد فى المعيشة و ليتهز الفرصه لذكر الله و ليحافظ على ثلاثة أوقات الغدوة والعشية و السحر و ليذكر الله بالتهليل و التسبيح و تلاوة القرآن و استمعوا الحديث و احضروا حلق الذكر

و لى الله الدهلوى

فى (التفهيمات الالهيـة)



محمد نبى الاله

لأعشى الشاعر الجاهلى

ألا أى هذا السائلى أين يممت	فان لها فى أهل يثرب موعدا
متى ماتناخى عند باب ابن هاشم	تراحى و تلقى من فواضله ندى
نبى يرى ما لا ترون و ذكره	أغار لعمرى فى البلاد و أنجدا
له صدقات ما تغب و نائل	و ليس عطاء اليوم مانعه غدا
أجدك لم تسمع و صاة محمد	نبى الاله حيث أوصى و أشهدا
إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى	ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله	فترصد للموت الذى كان أرصدا
فاياك و الميتات لا تقربنها	و لا تأخذاً سهما حديدا لتفصدا
ولا النصب المنصوب لاتنسكنه	و لا تعبد الأوثان و الله فاعبدا
و ذا الرحم القربى فلا تقطعنه	لعاقبة و لا الأسير المقيدا
وسبح على حين العشيات والضحى	و لاتحمد الشيطان و الله فاحمدا

و لا تسخراً من بائس ذى ضراعة(١)

و لا تحسبن المال للمرء مخلدا

سيرة ابن هشام ج ١

مدينة الزهراء

كانت قرطبة فى عهد عبد الرحمن الثالث الاموى عاصمة الاندلس المسلمة، تنار بالمصابيح ليلا و يستضئ الماشى بسرجها عشرة أميال لا ينقطع عنه الضوء (أى ستة عشر كيلو مترا)، أزقتها (١) مبلطة، و قماماتها مرفوعة من الشوارع، محاطة بالحدائق الغناء، حتى كان القادم إليها يتنزه ساعات فى الرياض و البساتين قبل ان يصل اليها، كان سكانها اكثر من مليون نسمة (فى ذلك العصر الذى لم تكن فيه أكبر مدينة فى اوروبا تزيد عن خمسة وعشرين ألفا) وكانت حماماتها تسعمائة حمام و بيوتها ٢٨٣٠٠٠ بيت، و قصورها ثمانون الف قصر، و مساجدها ستمائة مسجد، وكانت استدارتها ثمانية فراسخ (أى ثلاثين الف ذراع) كان كل من فيها متعلما، وكان فى ربضها (٢) الشرقى مائة و سبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفى، هذا فى ناحية واحدة من نواحيها. وكان فيها ٨٠ مدرسة يتعلم فيها الفقراء مجاناً وخمسون مستشفى و أما مسجدها فكان و لا تزال آثاره حتى اليوم آية خالدة فى الفن و الابداع كان ارتفاع مئذنته اربعين ذراعا تقوم قبته الهيفاء على روافد من الخشب المحفور، و تستند الى ١٠٩٣ من الاعمدة المصنوعة من مختلف الرخام على شكل رقعة الشطرنج فيتألف منها تسعة عشر صحناً طولا و ثمانية

---

(١) جمع زقاق، السكة، الطريق الضيق (٢) سور المدينة

و ثلاثون صحناً عرضاً وكان يضاء فى الليل بأربعة آلاف و سبعمائة مصباح تستنفد فى كل سنة ٢٤ الف رطل من الزيت ، وترى فى وجهه الجنوبى تسعة عشر باباً مصفحاً بصفائح برونزية (١) عجيبة الصنع ، خلا الباب الوسط الذى كان مصفحا بألواح من الذهب ، و يرى فى كل من وجهه الشرقى و الغربى تسعة أبواب مشابهة لتلك الأبواب أما محرابه فحسبك أن يقول فيه مؤرخو الفرنج « انه أجمل ما تقع عليه عين بشر و أنه لا يرى أحسن من زخرفه و سنائه فى أى أثر قديم أو حديث » .

و قد الحق بقرطبة بناء الزهراء الخالد فى التاريخ بفنه و روعته حتى قال فيه المؤرخ التركى ضيا باشا « انه كان أعجوبة الدهر التى لم يخطر مثل خيالها فى ذهن بناء منذ برأ الله الكون ، و لا تمثل رسم كرسمها فى عقل مهندس منذ وجدت العقول » كانت قبابه تقوم على ٤٣١٦ عمود من أنواع الرخام المنقوش نقشا متساويا ، وكانت أرضه مبلطة بقطع من الرخام ذى الألوان المختلفة على شكل جميل ، وكانت جدره مصفحة بألواح لازوردية ذهبية ، و فى ردهاته عيون ماء عذب ينصب و يغيب فى أحواض من الرخام الأبيض مختلفة الأشكال الى أن ينتهى الى بركة فى ردهة الخليفة ، وكانت ترى فى وسط البركة إوزة (٢) من ذهب معلقة فى رأسها لؤلؤة وفى مياهها من صنوف الأسماك و الحيتان الألوف الكثيرة حتى كان عدد ما يرمى لها من الخبز كل يوم اثنى عشر الف رغيف

(١) البرونز ، خليط من النحاس والقصدير (٢) طائر مائى

وفى الزهراء المجلس المسمى (قصر الخلافة) وكان سقفه وحيطانه من الذهب والرخام العليظ الصافى لونه المتلون أجناسه . وفى وسطه حوض عظيم مملوء بالزئبق(١) وفى كل جانب من جوانب المجلس ثمانية أبواب على حنايا من العاج و الآبنوس (٢) المرصع بالذهب وأصناف الجوهر قامت على سوارى من الرخام الملون و البلور الصافى وكانت الشمس تدخل على تلك الأبواب فيضرب شعاعها فى صدر المجلس و حيطانه ، فيصير من ذلك نور يأخذ بالابصار . وكان الناصر اذا أراد ان يفزع احدا من أهل مجلسه أومأ الى أحد سواليه فيحرك ذلك الزئبق فيظهر فى المجلس كلمعان البرق من النور و يأخذ بمجامع القلوب ، حتى يخيل لكل من فى المجلس ان المحل قد طار بهم ما دام الزئبق يتحرك . وكانت تحيط بالقصر حدائق غناء و ميادين واسعة الارجاء ، و من وراء ذلك سور عظيم يحيط بهذا البناء العجيب فيه ثلاثمائة برج حربى . وكانت الزهراء تحتوى على دور الخليفة و الأمراء و الحريم ، و قاعات كبرى لجلوس الملك فى مكان خاص اطلق عليه السطح الممرد . كانت له قبة قرامدها من ذهب وفضة ، ولكن القاضى منذر بن سعيد انكر على الخليفة فعله هذا فى حشد هائل بجامع قرطبة فنقضها و أعاد بناءها من لبن .

الدكتور مصطفى السباعى
(من روائع حضارتنا)

---

(١) معدن سائل يستعمل فى موازين الحرارة واسمه « سيماب » بالفارسية
(٢) نوع من الشجر